

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

الشعر العباسي في وفيات الأعيان لابن خلكان
" دراسة موضوعية وفنية "

إعداد الطالب
سفيان محمد الضروس

إشراف
الأستاذ الدكتور زايد خالد مصطفى مقابلة

رسالة مقدمة لعمادة الدراسات العليا
استكمالاً للحصول على درجة الماجستير
في الأدب العربي/ قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة مؤتة، 2012م

الإهداء

إلى والدي العزيز الذي منحني مفاتيح الحياة، ودعاني إلى البذل والعطاء ومحاربة اليأس، أمد ا بعمره، فله جزيل الشكر والتقدير...........

إلى والدتي العزيزة، التي هونت علي عناء الحياة، أمدها ا بالصحة والعافية..........

إلى إخوتي وأخواتي الذين جبلوا الصمود...........

إلى رفيقة دربي، التي نثرت الزهور في طريقي، وملأت لي أيامي الحب والوفاء، القلب الدافئ الحنون،........ خطيبتي الغالية.........

إلى الذين مهدوا لي طريق العلم والمعرفة بنصحهم وإرشاداتهم........

إلى كل من زرع في نفوس البشر الخير والوفاء.......

إليهم جميعاً ُأهدي هذا البحث........

سفيان محمد الضروس

الشكر والتقدير

الحمد   كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد؛

فلا يسعني إلا أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور زايد مقابلة المشرف على هذه الدراسة، الذي منحني الكثير من وقته، وآرائه السديدة، وأزال الغموض الذي أصابني في أثناء البحث والكتابة، حتى خرجت هذه الرسالة.

والشكر الجزيل لأعضاء هيئة التدريس في قسم اللغة العربية، الذين غمروني بلطفهم، وحسن تعاونهم، فلهم الفضل الكثير.

كما وأتقدم بجزيل الشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذه الرسالة، وتحملهم عناء قراءتها ومراجعتها وتقديم ملاحظاتهم القيمة.

وأتقدم بالشكر إلى كل من قدم لي دعماً معنوياً، ممن لا يتسع المجال لذكرهم.

سفيان محمد الضروس

فهرس المحتويات

الملخص

الشعر العباسي في كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان

" دراسة موضوعية وفنية "

سفيان محمد الضروس

جامعة مؤتة، 2012م

تهدفُ هذه الدراسة إلى رصد الشعر العباسي في كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان وتصنيفه وفقاً للأغراض الشعرية التي ينتمي إليها، والكشف عن أبعادها الموضوعية من حيث المعاني والقضايا الموضوعية التي يشتمل عليها.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في استجلاء صورة الشعر العباسي في كتـاب وفيـات الأعيان من الناحية الفنية، ولاسيما أنها دراسة تأخذ على عاتقها الوقوف عند كثير من القضايا الفنية المتمثلة في الشعر العباسي في كتاب وفيات الأعيان.

وتتجلى أهمية هذه الدراسة في كونها تضم بين دفتيها الشعر العباسي الوارد فـي كتاب الوفيات، ومنسوباً إلى أصحابه، مع بيان مواطنه في كتابه.

وجاءت هذه الدراسة في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، فعرضت في الفصل الأول حياة ابن خلكان، وأخباره، ورحلته العلميـة وأجمـل أشـعاره، والتعريـف بكتابـه، ومنهجيته، وأهميته الأدبية.

أما الفصل الثاني فقد تناولتُ الأغراض الشعرية، من مدح، ووصـف، وغـزل، ورثاء، وهجاء.

أما الفصل الثالث عرضتُ الشعر العباسي الوارد في كتاب وفيـات الأعيـان مـن الناحية الفنية، وتناولت الدراسة الناحية اللغوية والأسلوبية، وغيرهـا مـن الظـواهر الأدبية.

Abstract

The Abbasid Poetry in (wafiyat Al-ayan) of Ibn Khillikan A study of ArticuIation and subjects

Sufyan Mohamed AL-Droos

Mu'tah University,2012

This study aims to track the Abbasid poetry in the book(wafiyat AL–Ayan-by Ibn khillikan),Classifying it upon the poetry purposes and investigating the Subject dimensions in terms of meaning and the cases of such poetry.

The importance of this study stems from the review of the Abbasid poetry in this book in terms of articulation, since the study discusses deeply many poetry cases in it.

The importance of this study is clear in that it contains an annet of the Abbasid poetry, which includes the name of the poet and the location in the book.

The study structure consists of an introduction, three Chapters and a conclusion.

The first chapter shows the life narrations, scholastic travels, the most beautiful poems, acknowledgment of his book, his methodology and its literary importance.

The second chapter investigates poetry purposes Such as praise, description, flirtation, pityness and lampoon.

The third chapter shows the Abbasid poetry in the mentioned booking terms of articulation such as the linguistic side style, analogy, metaphor and other literature phenomena.

المقدمة:

الحمد   رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ممن ساروا على نهجه إلى يوم الدين، وبعد؛

تسعى هذه الدراسة إلى رصد الشعر العباسي في كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان وتصنيفه وفق الأغراض الشعرية التي ينتمي إليها، والكشف عن أبعادها الموضوعية من حيث المعاني والقضايا الموضوعية التي يشتمل عليها، ومحاولة ربط هذه الأشعار بالسياق الذي وردت فيه عند ابن خلكان.

وتهدف هذه الدراسة إلى تبيان دور الشعر العباسي في خدمة أهداف ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان، وبيان أهمية هذا المصدر في الشعر العباسي، ودراسة الأغراض الشعرية التي تجلت فيه، والكشف عن مظاهر التطور والتجديد فيه.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في استجلاء صورة الشعر العباسي في كتاب وفيات الأعيان من الناحية الفنية، ولاسيما أنها دراسة تأخذ على عاتقها الوقوف عند كثير من القضايا الفنية المتمثلة في الشعر العباسي في كتابه.

وقد ألقى الباحثون الضوء على هذا الكتاب بوصفه مصدراً من مصادر أمات الكتب العربية، فيبين تراجم الشعراء والأدباء، لذا يجد الدارس أن المؤلفات التي تتحدث عن هذا الكتاب هي مؤلفات متخصصة في البحث الأدبي، ومن هذه المؤلفات (من المصادر الأدبية واللغوية) لمؤلفه أحمد شوقي، و(مصادر المكتبة العربية في اللغة والأدب والمعاجم والتراجم)، لهاني العمد، و(شعراء عباسيين)، للسامرائي.

وقد قُسمت هذه الدراسة إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، ففي الفصل الأول تناولتْ تمهيداً

أبرز فيه دراسة حول ابن خلكان، من حيث نسبه وأخباره وسيرة حياته ورحلته العلمية، وذكرت له أجمل ما قال من أشعاره في كتابه وفيات الأعيان، مع تعريف بالكتاب ومنهجيته وأهميته الأدبية.

أما الفصل الثاني تناولتُ دراسة الموضوعات الشعرية في الكتاب، حسب ورودها وكثرتها؛ فبدأت بالمدح، فمن ذلك مدح الملوك والخلفاء والوزراء، وقد استخدم الشعراء المدح وسيلةً للتكسب، واختاروا أجمل صفات الممدوح وجعلوها جذابة قريبة من القلب.

أما الوصف فقد شغل حيزاً واسعاً من مراتب الموضوعات الشعرية، من حيث

وفرة الأشعار الموجودة في الشعر العباسي في كتاب: " وفيات الأعيان "، فقد أبدعوا في وصف المعارك والحروب، والطبيعة، ومجالس الغناء والخمر والقصور ووصف الحيوانات.

أما الرثاء، فقد ازدهر أيضاً في هذا العصر، وكان له مجموعة من الشعراء، فرثى الشعراء الخلفاء وكبار رجال الدولة وذويهم، وقد أجادوا فيه, وجاء الرثاء من حيث الكم في المرتبة الثالثة من بين الأغراض الشعرية في وفيات الأعيان .

أما الغزل فكان الشعراء يختلفون إلى دور القيان والطرب لمغازلة الجـواري، والتغزل بالمذكر، وهو التشبيب بالغلمان والغلاميات، وهناك شعراء احتـل الغـزل المرتبة العليا في أشعارهم.

أما الهجاء، فقد تميز بالسخرية الشديدة والإيذاء المؤلم، وقد استخدم الشعراء الهجاء لتوليد المعاني واستقصائها، ومن أنواع الهجاء في هذا العصر هجاء فاحش ساقط، وهجاء يقوم على السب والشتم، وذلك من أجل التشهير والتحقير المقذع، ويأتي هذا الغرض في المرتبة الخامسة من بين الأغراض الشعرية .

وفي الفصل الثالث تناولت الدراسة الشعر العباسي في الكتاب من الناحية الفنية، ووقفت على لغته، وعلى أسلوبه، من حيث استخدامه البديع وأنواعه من طباق وجناس وتورية، وظواهر فنية أخرى برزتْ في الشعر العباسي، والصور الشعرية التي تناولت التشبيه، و الاستعارة، والكناية، وصور حسية وبصرية.

وقد واجهتني صعوبات في أثناء الدراسة، منها قلة المصادر التي تحدثت عن كتاب وفيات الأعيان في الفصل الأول، وإن أكثر الشعراء المذكورين في الفصل الثاني ليس لديهم دواوين، وإنما وجِدتْ أشعارهم في صفحاتٍ متفرقة من كتب الشعر العباسي، مما أدى إلى صعوبة البحث عن هذه الأشعار.

الفصل الأول

تعريف بالكاتب والكتاب

1.1 ابن خلكان، اسمه ونسبه

ابن خلكان، هو قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان، بفتح الخاء وتشديد اللام، البرمكي الإربلي[(1)] ولد في سنة 608هـ بالمدرسة المظفرية التي كان أبوه يدرس فيها، بمدينة إربل[(2)] يوم الخميس بعد صلاة العصر **و**كان ابن خلكان (أحمد) أصغر إخوته الثلاثة؛ ولم يكن قد أكمل السنة الثانية عشرة من عمره حين فقد أباه.[(3)]

1.1.1 سيرة حياته ورحلاته العلمية:

كان والده حريصاً على أن يتجه ابنه إلى الطريق العلمي؛ ولذلك استدعى له الإجازات من العلماء المشهورين في عصره، كما كان العرف في ذلك الوقت، فنال ابن خلكان إجازة من زينب بنت الشعري[(4)]، وكانت هي قد تلقت العلم عن جماعة من أعيان العلماء رواية وإجازة، وبعدها استحق ابن خلكان أن يأخذ حق الرواية، واستدعى له والده إجازة أخرى من أبي الحسن المؤيد بن محمد رضي الدين النيسابوري فكتب إليه بالإجازة من خراسان، وبدأ ابن خلكان بالانصراف إلى طلب العلم في إربل، وكان كمال الدين بن النصيبي[(5)] قد خلف والده شهاب الدين في التدريس، بالمظفرية، وكان شرف الدين بن منعة، من أوائل الأساتذة الذين تلقى أحمد العلم منهم، إذ كان يحضر دروسه وهو صغير، فما سمع أحداً يلقي الدروس مثله، وكان لهذا الأستاذ أثر بالغ في نفسه، ولشدة تعلقه به قال: " كان من محاسن الوجود، وما أذكره إلا وتصغر الدنيا في عيني ".[(6)]

---

(1) ابن طولون، شمس الدين، قضاة دمشق، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة الترقي، دمشق، ط1، 1956م، ص76

(2) إربل: قلعة حصينة ومدينة كبيرة من أعمال الموصل، قام بعمارتها الأمير مظفر الدين كوجك، وأهلها أكراد، الحموي، ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (ت: 626ه)، ج1 / ص231

(3) شوقي، أحمد، من المصادر الأدبية واللغوية، دار المعرفة الجامعية، ط1، ص244

(4) زينب بنت الشعري: ولدت سنة 524ه، وسمعت من ابن الفراوي عبدا ، ومن زاهر الشحامي، أنظر الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن العماد، (ت:1089ه)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ج5 / ص147.

(5) كمال الدين بن النصيبي: ولد في رجب سنة تسع وستمائة، روى عنه الدمياطي وابن العطار والمزي، وأجاز للشيخ الدين مروياته، توفي سنة 692ه،

ابن خلكان، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط تركي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000م، ج8 / ص38

(6) ابن خلكان، احمد بن محمد الاربلي، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 2009 ج7 / ص17

وهكذا كان منزله مكاناً لجميع الغرباء الذين يقصدون تلك المدينة، فكان ابن خلكان يتخذ دار ابن المستوفي محجته لطلاب العلم.[1]

وقد ذكرت المصادر اهتمامه بدراسة الفقه وأصوله، ودراسة اللغة والنحو، وإتقانه لهذه العلوم، مع توفر صفات في شخصيته، مما أدى إلى تعيينه في القضاء، وقيامه بأعباء التدريس، فيما وكلَ إليه من مدارس.[2]

كان شافعي المذهب، دخل مصر وسكنها مدة وتأهل بها، وناب بها في القضاء عن القاضي بدر الدين السنجاوي، ثم ذهب إلى بلاد الشام من أجل القضاء، وقد تنقل بين الموصل وحلب ودمشق طلبا للعلم وللأخذ من كبار الشيوخ والعلماء في تلك المراكز العلمية، ثم انتقل إلى مصر، وتولى بعدها قضاء دمشق، وتفقه بابن يونس، وأخذ بحلب من ابن شداد[3]، وحصل على إجازات علماء عصره، من أمثال المؤيد الطوسي.[4] [5]

ومضى ابن خلكان يتلقى العلم في غير مكان، فقد كان يلقى العلماء والشعراء الذين يفدون إربل، ولما بلغ الثامنة عشر من عمره، عزم على الرحيل من بلدته إلى بلد أزهى وأكبر، فاختار حلب، وكانت حلب على قوله: " أم البلاد مشحونة بالعلماء والمشغلين " فترك إربل في رمضان سنة 626ه قاصداً علمين من علمائها، كانا صديقين لأبيه، الأول قاضي حلب وهو البهاء أبو المحاسن ابن شداد.

وكان لابن خلكان ذكريات مختلفة في مسقط رأسه (إربل) منها حادثة رجل حضر سماعاً قبل سنة 620هـ ـ ـ، فغنى الشجاع قصيدة لسبط بن التعاويذي[6] مطلعها:

سقاك سارٍ من الوسمي هتان ولا رقَتْ للغَوادِي فِيك أجفَان

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ج7 / ص 26

(2) ابن شداد: هو أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم، ولد بالموصل سنة 539ه، ونسبته بشداد جده لامه، تتلمذ على مشاهر عصره في علوم اللغة والفقه والحديث، اشتهر بمؤلفه (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية في سيرة صلاح الدين)، توفي بحلب سنة 632ه، عطية ا ، أحمد، القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1967م، ج4، ص67 – ص68

(3) عباس، إحسان، دراسة في ابن خلكان وكتابه وفيات الأعيان، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط1، 1995م، ص53 – ص54

(4) **المؤيد الطوسي**: عبد العزيز بن محمد بن علي الطوسي، من فقهاء الشافعية، أصله من طوس، سكن دمشق ودرس فيها، له كتاب مصباح الحاوي، توفي سنة 706ه، الزر كلي خير الدين ، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط6، 1994م، ج4 / ص26

(5) العمد هاني، مصادر المكتبة العربية في اللغة والأدب والمعاجم والتراجم، ط1 1999م، ص88

(6) **ابن التعاويذي:** محمد بن عبيد ا المعروف بسبط بن التعاويذي، شاعر العراق في عصره، ولد وتوفي فيها سنة 584ه، له كتاب الحجة والحجاب، معجم الشعراء العباسيين، عفيف عبد الرحمن، بيروت الطبعة الأولى 2000، ص200

الحياة، وتلك كانت بداية تعرفه إلى شعر سبط بن التعاويذي الذي أصبح فيما بعد أنموذجا للشعر الرائع، و كان ابن خلكان يهتم كثيراً بابن المستوفي، ويتردد كثيرا إلى الموصل وذلك ليأخذ عنه.(1)

كان ابن خلكان في تعطشه إلى العلم، في هذه الفترة الإربلية، لا يستطيع أن يعتمد كثيراً على ما تقدم اربل وبيئتها من فرص له، ولذلك كان أكبر همه أن يلقى الوافدين ويأخذ عنهم من فقهاء وشعراء وأدباء، فنزل عندهم بالمدرسة المظفرية، وكانت مجمعاً للأدباء؛ حيث تجري بينهم محاضرات ومناقشات ومذاكرات لطيفة، كان من أثرها تقوية الاتجاه الأدبي لدى ابن خلكان وكان من الوافدين الشيخ أثير الدين الأبهري، قادماً إليها من الموصل، فنزل بدار الحديث، فانتهز ابن خلكان هذه الفرصة، وأخذ يدرس عليه الخلاف، وكان اندهاش ابن خلكان كبيرا في رد الشيخ أثير الدين حين يسأله، وكان من أبرز الوافدين إلى إربل أبو الخطاب بن دحية، ولكن ابن خلكان لم يهتم بابن دحية كثيراً، وذلك لأنه أوهم أهل إربل بقصيدة أنها من نظمه، ومطلعها:

لولا الوشاة وهم أعداؤنا ما وهموا(2)

وهذا يدل إلى نسبة الكذب لدى ابن دحية، وإن كان تأدبه يمنعه من التصريح بذلك.

وعندما تجاوز ابن خلكان الثامنة عشر بقليل من عمره عقد النية أن يغادر من إربل طلباً للعلم، وهو يرتحل عنها، إلى أن يعود إليها من بعد، وكان أحد أخويه في صحبته في تلك الرحلة، واعتماده في رحلته العلمية كان على شيئين اثنين هما: كتب وصية حملها من صديق الأسرة، حاكم إربل ، مظفر الدين كوكبوري، ووفرة أصدقاء والدهما في المدن التي سيحل فيها.

وأخذ أحمد (ابن خلكان) يتردد إلى خدمة كمال الدين موسى بن يونس بن منعة لما كان بينه وبين والده من المؤانسة والمودة الأكيدة، وقد تردد إليه عدة مرات، في شهر رمضان، وواصل سفره إلى حلب فمر في طريقه إليها بمدينة حران، وكان الملك الكامل الأيوبي(3) هنالك ومعه العساكر المصرية, وفي ذي القعدة دخل حلب، ومنذ حلوله في تلك المدينة كانت أخصب فترة في حياته من حيث تلقي العلم على الشيوخ المشهورين.(4)

وكانت حلب بفضل القاضي بهاء الدين بن شداد تشهد نشاطاً علمياً كبيراً، وذلك أن القاضي كان

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج7 / ص26

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج7 / ص28

(3) الملك الكامل الشهيد ناصر الدين بن أيوب، عاقلاً شجاعاً، كان شديد البأس، قوي النفس، مات قتلاً، الذهبي، قتل سنة 58ه، سير أعلام النبلاء، ج23 / ص201

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج7 / ص29

صديقاً لصلاح الدين، وقد أصبح منذ سنة 591هـ قاضياً ومستشاراً للملك الظاهر بن صلاح الدين، فعمر مدرسة قبالة المدرسة النورية سنة 610ه, وبنى داراً للحديث، وأصبحت المدينة بفضل جهوده مقصداً للفقهاء وطلاب العلم الذين كانوا يجدون المأوى والنفقة الجارية.(1)

وكان من حسن حظ ابن خلكان وأخيه أن كان ابن شداد صديقاً لوالدهما، فقد كانا يحملان رسالة توصية وهي " أنت تعلم ما يلزم من أمر هذين الولدين، وأنهما ولدا أخي وولد أخيك، ولا حاجة مع هذا إلى تأكيد وصية، ورعاية لحق الصداقة، ومكانة الموصي، فتلقاهما ابن شداد بكل ترحيب وانزلهما في مدرسته، وقرر لكل واحد منهما مرتبا عاليا يساوي مرتب الطلبة الكبار، رغم حداثة سنيهما، فبدأ ابن خلكان وأخوه يقرآن على الشيخ جمال الدين أبي بكر الماهاني، ولكن هذا الشيخ توفي بعد سنة من إقامتهما بحلب، فأخذ أحمد يتردد إلى الشيخ أبي عبدا بن الخباز الموصلي الفقيه، فقرأ عليه كتاب "الوجيز" للغزالي وبلغ فيه حتى باب الإقرار، وقرأ من فقه الإمام الشافعي وتميز فيما قرأ عليه، وفي أثناء ذلك كان ابن شداد يعقد مجالس الحديث في داره، وخاصة تلك المجالس التي كان يعقدها بعد صلاة الجمعة.(2)

ومن أساتذة ابن خلكان ابن الجبراني أبو المحاسن الشواء(3)، وكان أستاذاً متضلعاً في علم اللغة، ولكن ابن خلكان لم يدرس عليه، وإنما أتيح له أن يتسقط بعض حديثه، إلا أنه صادف من بعدعودته من دمشق أحد تلاميذه ابن الجبراني، فأقام في دمشق عاماً كاملاً، وذلك للاشتغال على الشيخ ابن الصلاح، أحد فضلاء عصره في التفسير والفقه والحديث، وكان يدرس في المدرسة الروحانية ودار الحديث بدمشق ومدرسة ست الشام، ويقر ابن خلكان أنه كان أحد شيوخه الذين تعلم على أيديهم.(4)

وقد أتيح لابن خلكان أن يرى الملك الكامل والملك الأشرف في دمشق سنة 633هـ، وهما يركبان معا ويلعبان معا بالكرة في الميدان الأخضر الكبير في شهر رمضان من ذلك العام، وفي هذه الفترة رفع قصيدة إلى الملك الكامل يمدحه بها، ومطلعها:

هوًى بين أحنَاءِ الضلُوعِ مخَامِر   وفَرطُ غَرامٍ أضمرتْه السرائِر

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج7 / ص30

(2) المصدر نفسه: ج7 / ص30

(3) أبو المحاسن الشواء، يوسف بن إسماعيل بن علي أبو المحاسن، شاعر من الأدباء وصديق ابن خلكان، كوفي الأصل، ولد وتوفي بحلب (ت: 635ه)، عفيف، معجم الشعراء العباسيين، ص234

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج7/ ص31

لَقَد خَذَلَ الباغِين منْصور جيشَه ولكِنه للدين فِي ا ـ نَاصِر

فَرد وجوه الرومِ سوداً بِبيضِهِ فَعاد بِأحزابِ الصِغَارِ الأَكَابِر

وفِي سمرِهِ حمر المَنَايا فَمن سطَا ثَعالِبها تَخْشَى الليوثُ الخَوادِر[1]

وعندما كان بدمشق التقى عدداً من طلاب العلم والعلماء، كان من بينهم رجل فاضل في علوم الرياضة أشكلت عليه المسائل الرياضية فكتبها جميعاً في درج وأرسلها إلى ابن منعة[2] بالموصل ليحلها له، فأجاب بجواب غاية في التواضع، بعد أن حلها، فقال الرجل لابن خلكان "[3] ما سمعت مثل هذا الكلام إلا للأوائل المتقنين لهذه العلوم، ما هذا من كلام أبناء هذا الزمان " ومن أولئك الحصيري[4] الذي اجتمع به عدة مرات، إذ كان يدرس بالمدرسة النورية بدمشق، وكان من أبرز فقهاء الحنفية، ومن أذكى الناس في عصره.[5]

وبعد أن أنهى ابن خلكان عامه بالقضاء في دمشق، عاد إلى مدينة حلب إلى المدرسة البهائية القاضوية (نسبة للقاضي بهاء الدين بن شداد)، والتقى برفاق العلم أمثال عون الدين بن العجمي الحلبي، وصديقه كمال الدين بن الشعار، الذي التقى به بحلب، وأنشده شيئاً من شعره، وكان مما انشده القصيدة التي قالها بدمشق في مدح الكامل، وفي أواخر سنة 634هـ.[6]

انعقدت أواصر الصداقة بينه وبين أبي المحاسن الشواء،أحد المتحققين بعلم العروض والقوافي،

وكان يعجبه أن يسمع شعره وأكثرها مقطوعات يتلاعب فيها بالمصطلحات النحوية واللغوية، وقد بقيا صديقين إلى أن توفي الشواء سنة 635هـ.[7]

لقد عرف ابن خلكان كثيراً من شؤون حلب وضواحيها، وأحداثها ومعالمها البارزة، وقد توفي الملك العزيز محمد بن عبد الملك الظاهر وهو فيها، فنظم ابن خلكان في رثائه قصيدة مطلعها:

هوى من نِظَامِ الملكِ واسِطَةِ العِقْدِ ولم يك من صرفِ المنيةِ من بد

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج7/ ص32

(2) ابن منعة: يوسف بن محمد بن موسى بن منعة، قاضي الموصل، قدم رسولاً على من قازان فأكرمه، كتابه الحاوي في فقه الشافعي،

توفي سنة 716ه، الزر كلي، الأعلام، ج8 / ص250

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج7 / ص30

(4) الحصيري: جمال الدين أبو المحامد محمود بن أحمد بن عبد السيد البخاري الحصيري، تفقه ببخاره، حدث بصحيح مسلم، درس وناظر وأفتى، سكن دمشق، وتوفي سنة 636ه، وله تسعون سنة، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23 / ص53

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ج7 / ص31

(6) المصدر نفسه: ج7 / ص 32

(7) المصدر نفسه: ج7 / ص 32

وعندما توفي السهروردي[1] تصدى ابن خلكان لتلك الحادثة بقوله " وقد أقمت بحلب سنين للاشتغال بالعلم الشريف، ورأيت أهلها مختلفين في أمره، وكل واحد يتكلم على قدر هواه، فمنهم من ينسبه إلى الزندقة والإلحاد، ومنهم من يعتقد فيه الصلاح وأنه من أهل الكرامات ...." (2)

واتجه ابن خلكان إلى الإسكندرية، وقضى في تلك المدينة خمسة أشهر من عام 636هـ، وفيها لقي أحد الحساب فشرح له قضية الشطرنج، وفي سنة 637هـ نجد ابن خلكان في القاهرة حين وصل إليها الملك الناصر[3]، واستطاع أن يلقى بهاء الدين زهير، وكان إعجاب ابن خلكان بشعره، أحد العوامل التي قوت تلك الصداقة، وأجازه البهاء رواية ديوانه، فقد كان البهاء ذا مقام رفيع ومرموق في الدولة الأيوبية، وأدت صداقة البهاء إلى صداقة ابن مطروح، فقد كانا البهاء وابن مطروح كالأخوين، وقد ظل ابن خلكان في مصر إلى سنة 643هـ، وفي هذه الفترة تأكدت الصلة بينه وبين ابن مطروح، وكانا يكثران اللقاء، وكان ابن مطروح ينشده شعره، حتى أنه أنشده أكثر ديوانه، وبعد سنة 647هـ انقطع ابن مطروح في داره، وكانت المكاتبات تجري بينهما في كل وقت، ومرة تأخر ابن خلكان عن زيارة صديقه وهو يشكو ألما في عينيه انتهى به إلى مقاربة العمى، فكتب إليه ابن مطروح:

يا من إِذَا استَوحشَ طِرفِي لم يخلُ قَلْبي مِنْه مِن أُنْسِ
والطَرفُ والقَلْب على ما هما عليهِ، مأْوى البدرِ والشمس[4]

ومن العوامل التي عملت في إيجاد منصب لابن خلكان، أولها: شخصيته المحببة وعلمه، وثانيهما: صداقته لاثنين من كبار المسئولين وهما: البهاء زهير[5] وابن مطروح[6].

---

(1) السهروردي، محمد بن عمربن محمد التيمي البكري، فقيه شافعي مفسر وواعظ، ولد في سهرورد في سنة 587ه، ووفاته في بغداد 655ه، كان شيخ شيوخ بغداد، سمع من ابن الجوزي، من كتبه عوارف المعارف ونغبة البيان في تفسير القران، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج15 / ص392

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج7 / ص34

(3) الملك الناصر: يوسف الناصر بن محمد، العزيز ابن الظاهر غازي ابن الناصر صلاح الدين، توفي 659ه، آخر ملوك بني آيوب، ولد بقلعة حلب وولي الملك فيها بعد وفاة والده سنة 634ه، الزركلي، الأعلام، ج8 / ص249

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج7 / ص 35

(5) بهاء الدين زهير، أبو الفضل زهير بن محمد بن علي بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن المنصور المهلبي العتكي،الملقب بهاء الدين الكاتب، توفي سنة ست وخمسين وستمائة القاهرة، وذلك بسبب مرض عظيم لم يكد يسلم منه أحد، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج2 / ص332

(6) ابن مطروح: يحيى بن عيسى، شاعر، ولد بأسيوط، ومات بالقاهرة، اتصل بالملك الصالح سنة 626ه، وهو في الخامسة والثلاثين، ولما دخل الملك الصالح على دمشق، جعله وزيراً فيها، صلواتي، ياسين، الموسوعة العربية الميسرة والموسعة, مؤسسة الرسالة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2001م، ج1، ص130

وفي سنة 656هـ عم القاهرة مرض لم يكد يسلم منه أحد، ولم يكن هذا المرض قاصراً على القاهرة فحسب وإنما ديار الشام، وبسببه لزم ابن خلكان الفراش ، وبعد حوالي عشرة أيام من بدء انتشار المرض، وصلته الأخبار بأنه فقد صديقا من أقرب أصدقائه إلى نفسه وهو البهاء زهير، فلما شوفي من مرضه مضى إلى تربته وقرأ عنده شيئاً من القرآن الكريم وترحم عليه، وفي العام نفسه توفي شخص عزيز على ابن خلكان وهو شيخه عبد العظيم المنذري، وقبل انتشار المرض كان ابن خلكان يشْغِل نفسه بتأليف التراجم.[1]

وعند الانتصار في معركة عين جالوت سنة658ه، ثم مقتل القائد قطز[2]، بطل تلك المعركة محققا الفرصة لتولي الظاهر بيبرس الحكم، وبمجيئه يدخل ابن خلكان في دور جديد، فاختاره الظاهر ليكون قاضيا للقضاة في ديار الشام، وقد لفت إليه أنظار رجال الدولة بكفايته ومزاياه حتى يرشح لهذا المنصب، وبعد ذلك صدر الأمر لابن خلكان بأن يتأهب للسفر في صحبة الملك الظاهر، فطوى أوراقه ومسوداته، وخرجا من القاهرة سنة 659هـ ووصلا إلى دمشق، وفي يوم الخميس عزل النجم ابن سني عن القضاء، وتولى القضاء ابن خلكان، وأُمِر النجم بالسفر.[3]

وبدأ ابن خلكان ممارسة هذه المهام، من تعيين نواب له في البلاد، وتنصيب معيدين في المدارس، ومراجعته للأحكام، والتعرف إلى العلماء والأعيان، وإنشاء علاقات ودية في بيئة جديدة عليه، وكانت أولى محاولاته زيارته للعز الإربلي[4]، ولم يدرس ابن خلكان في جميع المدارس التي وكلت إليه، وإنما تنازل لبعض العلماء عنها، وأول مدرسة تخلى عنها المدرسة الركنية الملاصقة

للفلكية، فقد تنازل عنها لأبي شامة وهو صاحب كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، المتوفى سنة 665ه، فقد كان أبو شامة يلجأ إليه في شرح بعض الأمور، وبعد ذلك عين ابن خلكان بدر الدين المراغي المعروف الطويل شارح طريقة العميدي معيداً عنه في المدرسة العادلية السيفية، ولكنه توفي سنة 660هـ .

وفي سنة 661ه كان الظاهر بيبرس في الكرك، لأنه علم أن صاحبها المغيث عمر بن العادل كان

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج7 / ص 39

(2) قطز: كان من أنبل مماليك المعتز، وكان فارسا شجاعاً ديناً، محبباً إلى الرعية، هزم التتار وطهر الشام منهم يوم عين جالوت، وقتل سنة 658ه، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23 / ص200

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج7 / ص40

(4) العز الاربلي: عبد العزيز عثمان ابن مفضل، الشيخ عز الدين بن محمد الاربلي، إمام دار الحديث النورية في دمشق، كان أديباً فاضلاً، مات سنة 644ه،وت الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، (ت: 764ه)، ابن خلكان، الوافي بالوفيات، ج18 / ص323.

يراسل هولاكو ويحثه على القدوم إلى دمشق مرةً أخرى، وقد أفتى الفقهاء بقتله، واستدعى الظاهر بيبرس ابن خلكان وعرض عليه تلك الفتاوى[1] وخلا بمنصب التدريس بدار الحديث في أواخر جمادى الآخرة سنة 662هـ، إذ توفي المدرس بها جمال الدين بن الحرستاني، وصلى عليه قاضي القضاة بجامع دمشق، ثم عين أبو شامة من بعده، وفي سنة 633هـ كانت إحدى غزوات الظاهر بيبرس الكثيرة ضد قلاع الصليبين في بلاد الشام، وقد وجه في ذلك العام للاستيلاء على قيسارية[2]، فاستولى عليها في جمادى الأولى، ثم استولى على أرسوف[3]، وكانت القاعدة المتبعة إرسال كتب البشائر في كل فتح، ورد عليه كتاب البشارة بفتح أرسوف من إنشاء فتح الدين عبدا القيسراني وهي كالآتي:

" جدد ا البشائر الواردة على المجلس السامي القضائي فسره بما أسمعه، وأبطل ببركته كيد العدو ودفعه، وجاء بها سبب الخير وجمعه، ولا زالت التهاني إليه واردة، والمسرات عليه وافدة، ونعم ا وبركاته لديه متزايدة "[4]، ثم قدم وصفاً للفتح، وتوجه ابن خلكان كي يحدث بهذا النصر الفقهاء والعدول، ويكاتب نوابه بخبره، وينشره بين الناس، ويدعو للملك، باطراد النصر، وبعد هذا النصر حضر ابن خلكان لاستدعاء الملك الظاهر له، إلى غزة فكتب مكتوباً خاصاً بالتمليك.[5]

وهذا بعض نصه ليدل على أسلوب ابن خلكان الإنشائي، فيقول: "أما بعد..... فإن خير النعمة نعمة وردت بعد اليأس، وجاءت بعد توحشها، وهي حسنة الإيناس، وأقبلت على فترة من تخاذل الملوك وتهاون الناس، وقرعت أبواب الجهاد وقد غلقت في الوجوه، وأنطقت ألسنة المنابر وشفاه المحابر بالبشائر التي ما اعتقد أحد أن بها تفوه، فأكرم بها نعمة على الإسلام وصلت للملة المحمدية أسبابا، وفتحت للفتوحات أبواباً، وهي رسالة طويلة، لا يختلف أسلوبها المسجوع عما

درج عليه كتاب ذاك العصر، وبعد أن قرأ هذا الكتاب على السلطان، وكتب أيضاً كتاب التمليك الشرعي لكل أمير، وفُرّقت النسخ على الأمراء، وأحسن الظاهر إلى ابن خلكان وخلع عليه.[6]

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج7 / ص42

(2) قِيسارية: بالفتح ثم السكون، وسين مهملة، وبعد الألف راء مشددة، وهي بلد على ساحل بحر الشام، تعد في أعمال فلسطين، بينها وبين طبرية ثلاثة أيام، الحموي، ياقوت, معجم البلدان، دار احياء التراث ، بيروت ، ط1 ،1979 م ، ج4 / ص421

(3) أَرسوفُ: مدينة على ساحل بحر الشام، بين قيسارية ويافا، الحموي، معجم البلدان، ج1 / ص151

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج7 / ص43

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج7 / ص43

(6) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج7 / ص44

وفي سنة 664هـ حقق الملك الناصر انتصارات كثيرة، فوصل إلى ابن خلكان كتاب من إنشاء كمال الدين أحمد بن العجمي يتحدث عن تلك الانتصارات، وأخذت هذه الانتصارات تتوالى سنة 666هـ ثم سنة 669هـ وفي كل مرة كان ابن خلكان يكتب بشارة بما تم من إنجازات، وكان منصب

ابن خلكان يتيح له الاتصال بفئات متنوعة من الناس ، فيهم العالم والأديب، إلى جانب النواب وكثير من أبناء الفئات الشعبية، فمن الناس الذين تواصل معهم محاسن بن الصوري عريف سوق الكتب بالقاهرة، وكان ابن خلكان ذا علاقة وثيقة بالوراقين ودلالي الكتب، كما ولقي ابن خلكان محاسن الصوري مرة في الإيوان الكبير بدار الوزارة عند البادرائي[1] رسول الديوان فأخبره أنه دخل تلك الدار، وفي دمشق كان ابن خلكان يقبل على مجلس ابن اسفنديار الواعظ سنة 676هـ، وكان يحكي له الحكاية ثم يعيدها فيتمنى ابن خلكان ألا يفرغ من حكايته وتنميقه.[2]

وكان كثيراً ما يجلس إلى أكبر تجار دمشق مثل الوجيه ابن سويد التكريتي، ويستمع إلى أقاصيصه، فقد كان من المعمرين، وقد بلغ من منزلة الوجيه، أن كانت كتبه نافذة عند ملوك الأطراف وملوك الفرنج بالساحل، وكان أثيرا لدى الملك الظاهر، كما كان كثير المكارم للأمراء والوزراء، وأرباب الدولة، وقد كان ابن سويد صديقاً لابن خلكان، وكان يعتمد في هذه الصداقة على قضاء بعض أعماله، وقال مرة لابن خلكان: ما يكون الصاحب صاحباً حتى يعرق جبينه مع صاحبه في جهنم.[3]

فأجابه ابن خلكان: بلى يا وجيه الدين صرنا معك، وما ترضى، وكان هناك صديقٌ آخر

لابن خلكان بدمشق وهو شمس الدين قزا أوغلي من معارفه، ولم تلهه مهماته الكثيرة عن ممارسة بعض أنواع "الرياضة الأدبية" فقد كان ابن خلكان يخضع للروح السائدة في عصره، مغرماً بالألغاز، ولهذا نجد الرسائل تدور بينه وبين صديقه ابن عدلان الموصلي[4] بالقاهرة.[5]

---

(1) البادرائي: نجم الدين أبو محمد عبدا ابن أبي الوفاء، محمد ابن حسن بن عبدا البغدادي الشافعي، تفقه وبرع في المذهب، درس بالنظامية، حدث في دمشق وحلب ومصر، ولي القضاء ببغداد، توفي سنة 655ه، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23 / ص332

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج7 / ص45

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج7/ ص46

(4) **ابن عدلان الموصلي**: محمد بن أحمد بن عثمان ابن عدلان، شمس الدين الكناني فقيه شافعي مصري، ناب في الحكم عن ابن دقيق العيد، وأُرسل إلى اليمن في زمن الناصر محمد بن قلاوون، توفي بالطاعون له شرح مختصر المزني في فقه الشافعية، توفي سنة 749ه، الزركلي، الأعلام، ج5 / ص326،

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج7 / ص47

وقد قضى ابن خلكان في القاهرة سبع سنوات، ورغم ما قاساه ابن خلكان من ضائقة مادية لكنه مضى في الكتابه، وقراءة الكتب فيستمد منها المعلومات، ولما عاد إلى القضاء بدمشق سنة 677هـ كان قد انتهى من تدوين أكثر ما كان قد أرجاه بسبب زحمة العمل في شؤون القضاء.[1]

وفي السابع عشر من صفر افتتحت المدرسة الظاهرية التي أنشاها الملك السعيد، في موضع دار العقيقي، ولم تكن المدرسة قد كملت بعد، وبعد ذلك فُتحت المدرسة النجيبية، وقد درس فيها ابن خلكان أيضاً ثم نزل عنها لابنه كمال الدين موسى[2]، وقضى ابن خلكان في منصبه الجديد قرابة ثلاث سنوات، وهو يصرف الأمور دون منغصات، إلى أن حدثت فتنة سنقر الأشقر[3]، وخلاصتها أن سنقر الأشقر تولى نيابة السلطنة بدمشق بعد عز الدين أيدمر الظاهري، ثم ادعى لنفسه الاستقلال بالسلطنة، وتلقب بالملك الكامل وحلف له القضاة والأعيان.

وكانت الأمور في مصر حول الملك السعيد وخلعه من السلطنة وتولية أخيه الملك العادل، وقد كان عمره سبع سنوات، ثم عزله ومبايعة المنصور (قلاوون الصالحي) فلم يرض سنقر الأشقر بذلك وأراد الاستقلال بالسلطنة، وأرسل إليه المنصور، فأخذ يقبح فعله، وأن ذلك يفرق الكلمة ويوهن الأمة، فلم يصغ له، وعندئذ أرسل إليه المنصور، جيشا بقيادة علم الدين سنجر الحلبي، فكانت الهزيمة على سنقر، ويبدو أن ابن خلكان كان ممن بايع سنقر الأشقر، ولذلك فإنه ما كاد يدخل على سنجر الحلبي ليسلم عليه حين استقر ركابه بدمشق، حتى قبض عليه واعتقله,

واستدعى القاضي السابق " ابن سني الدولة " من حلب وعهد إليه بالقضاء بدلا عنه، ولح سنجر الحلبي على ابن خلكان بان يخلي المدرسة العادلية، كي يسكنها ابن سني الدولة ،فاستدعى ابن خلكان جمالا لينقل أمتعته إلى جبل الصالحية، وبينما كان نقل الأمتعة يجري، وصلت رسالة من الملك المنصور قلاوون تتضمن عفوا عن كل من اشترك في فتنة سنقر الأشقر.(4)

وبعد ذلك أضيف لابن خلكان المدرسة الأمينية خلفاً لعلاء الدين بن الزملكاني، وكان ذلك سنة 681هـ، واستمر على ذكر الدرس بالأمينية والعودة إلى مسكنه بالنجيبية، والاجتماع بمن يتردد

إليه من العلماء الفضلاء والأدباء، والحث معهم والمذاكرة لهم وبث العلوم والفوائد.

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج 7 / ص50

(2) المصدر نفسه : ج7 / ص50

(3) سنقر الأشقر: السلطان ملك خراسان، صاحب خراسان وبعض ما وراء النهر، كان وقورا كريماً، جلس على سرير الملك قريباً من ستين سنة، كان من أعظم الملوك، وأكثرهم علماً، توفي سنة 552ه، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23 / ص201

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ج7/ ص51

1.1.2 من أشعار ابن خلكان:

يمدح الملك الكامل ناصر الدين أبا المعالي محمد بن محمد بن أيوب بن شاذي، فيقول:

هوى بين أحناء الضلوع مخامر　　　و فرط غرام أضمرته السرائر

ومشرع حب كلما قلت قد صفت　　　موارده أبدت قذاه المصادر

خليلي ما بال النسيم معطراً　　　أجاور نجداً أم أضاعته حاجر

و لا تعجبا إني شعرت فإنني　　　شممت الشذا إذ مر بي وهو خاطر

نشدتكم هل بعد عزة أعشبت　　　عاص الحمى أم روض الجزع ماطر

وهل عذبات البان صوحن بعدها　　　لعظم الأسى أم هن لديه نواظر

إذا أومض البرق اليماني شِمتُ　　　برجع جفون لحظها متخازر(1)

وسمع قول ابن الساعاتي(2):

لما رأيت هلالَ و جهك آفلاً　　　و رأيت خدك قد علاه قتام

عرجت بالوجنات أندب رسمها　　　يا دار ما صنعت بك الأيام

فعمل هذه الأبيات:

لما نظرت إلى أرجاء وجنته　　　و رسمها طامس محت علائمها

أنشدت في عرصاتها مترنماً   عفت الديار محلّها فمقامها[3]

وقال يرثي الملك العزيز محمد صاحب حلب:

هوى من نظام الملك واسطة العقد   ولم يك من صرف المنية من بد

فما للرماح السمر مشرعة القنا   وما للصفاح البيض مرهفة الحد

إذا عطلت من هذه حومة الوغى   فما تصنع الفرسان بالقضيب والمد

سقى جدثاً ضم المكارم تربه   ولحداً حوى تلك المناقب من لحدِ

مواطر دمع ما تزال تمدها   سحائب تحدوها مواسم من وجدِ[4]

وقال أيضاً في الغزل:

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج7 / ص91

(2) ابن الساعاتي: الوزير الكبير لعلامة أبو الحسن علي بن محمد بن رستم، سكن مصر ومدح الملوك، وقال النظم الفائق، توفي سنة 406ه، وعمره نيف وخمسون سنة، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج21 / 471

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج7 / ص92

(4)المصدر نفسه: ج7/ ص92

وسرب ظباء في غدير تخالهم   بدوراً بأفق الماء تبدو وتغرب

يقول عذولي و الغرام مصاحبي   أما لك عن هذي الصبابة مذهب

وفي دمك المطلول خاضوا كما ترى   فقلت له: ذرهم يخوضوا ويلعبوا

فالملاحظ في شعره أثر القرآن الكريم، وذلك: " ذرهم يخوضوا ويلعبوا "[1]

وقال:

لما بدا العارض في وجهه   بشرت قلبي بالنعيم المقيم

وقلت هذا عارض ممطر   فجاءني فيه العذاب الأليم

وأيضاً هنا أثر بارز من القرآن الكريم " وقلت هذا عارض ممطر" [2]

وقال أيضاً:

أي ليل على المحب أطاله   سائق الظعن يوم زم جماله

أيها السائق المجد ترفق   بالمطايا فقد سئمن رحاله

ولا تطل سيرها العنيف فقد بر   ح بالصب في سراها الاطاله

قد تركتم و راءكم حاف وجد   نادباً في محلكم أطلاله

يسأل الربع عن ظباء المصلى   ما على الربع لو أجاب سؤاله

محالٌ من المحيل جواب غير أن الوقوف فيها علاله
هذه سنة المحبين يبكو ن على كل منزل لا محاله
يا ديار الأحباب لا زالت الأد مع في ترب ساحتيك مذاله
و تمشى النسيم و هو عليلٌ في مغانيك ساحباً أذيالهُ
أين عيش لنا مضى فيك ما أسرع عنا ذهابه و زواله[3]

---

(1) اقتباس من قوله تعالى: " فَذَرهم يخُوضوا ويلعبوا "، سورة الزخرف، آية 83.

(2) اقتباس من قوله تعالى: " هذا عارض ممطِرنَا "، سورة الأحقاف، آية 24.

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج7 / ص101

1.1.3 وفيات الأعيان لابن خلكان:

يقول صاحب كتاب فوات الوفيات في كتاب وفيات الأعيان " وبعد: فإن علم التاريخ هو مرآة الزمان لمن تدبر، ومشكاة أنوار يطِلع بها على تجارب الأمم من أمعن النظر والتفكير، وكنت مِمن أُكْثِر لكتبه المطالعة، واستحلي من فوائده المطالعة والمراجعة، فلما وقفت على كتاب: " وفيات الأعيان " لقاضي القضاة ابن خلكان- قدس ا روحه – وجدته من أحسنها وضعاً، لِما اشتمل عليه من الفوائد الغزيرة، والمحاسن الكثيرة ".[1]

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان من أشهر كتب التراجم العامة، فقد ترجم لمعظم فئات العظماء في أنحاء العالم الإسلامي، وقد كشف ابن خلكان منهجه في مقدمة كتابه؛ إذ قال: " ولم أقصر هذا المختصر على طائفة مخصوصة من العلماء أو الملوك أو الشعراء بل كل من له شهرة بين الناس ويقع السؤال عنه ".[2]

وكتابه هذا " وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان " سجل حافل وجامع للأعلام في كل عِلْمٍ وفن على امتداد التراث العربي والإسلامي زماناً ومكاناً، فقد ترجم فيه لثمان مائة وخمسة وخمسين علماً من أعلام الأدب والفقه والفلسفة والعلوم الطبية.[3]

فيقول الدكتور إحسان عباس في مقدمة الكتاب، وقد رتب الأعلام في كتابه تبعاً للترتيب

الألف بائي، وقد حرص على ذكر الاسم واللقب والكنية، وتاريخ الميلاد وتاريخ الوفاة، وجمع الأحداث التاريخية والمؤلفات، وآراء حول المترجم له، ولا يتركه إلا بعد دراسته أحواله، ولذلك عد كتاب ابن خلكان عمدة من بين كتب التراجم في تراثنا العربي، فهو يمثل ذروة الترجمة في التاريخ العربي.(4)

ويعود سبب تأليف ابن خلكان لهذا الكتاب، ولعه بالاطلاع على أخبار المتقدمين من أُولي النباهة وتواريخ ولادتهم ووفاتهم، وقد حظي كتاب وفيات الأعيان باهتمام الباحثين في العصر الحديث، فطُبع عدة مرات في باريس1838م، بعناية المستشرق دوسلان، ثم طبعة بولاق 1858م، بعناية الشيخ محمد عبد الرحمن العدوي، ومن الطبعات الجيدة طبعة، تحقيق الدكتور إحسان عباس(5)

---

(1) الكُتُبي، محمد بن شاكر، (ت: سنة 764ه)، فواتُ الوفياتِ، تحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ج1 / ص57 – ص58

(2) غطاشه،داوود، مصادر الدراسات الأدبية واللغوية، تحقيق عبد القادر أبو شريفة، دار الفكر، ط2، 1991م، ص99.

(3) شوقي، من المصادر الأدبية واللغوية، دار المعرفة، ص244.

(4) المنجد، صلاح، أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب، بيروت، ط1، 1959م، ص237.

(5) غطاشه، مصادر الدراسات الأدبية واللغوية، ص121

1.1.4 مصادر كتابه ومنهجيته:

عد كتاب ابن خلكان من أشهر كتب التراجم، وواحداً من أمات الكتب العربية، وقد صدرت له آخر طبعة عن دار الثقافة ببيروت، فجاءت في سبع مجلدات ولحقها الثامن(1)، فكانت النواة الأولى لكتاب ابن خلكان موجودة في مسوداته مما نقله من المصادر التي اطلع عليها حتى سنة 654هـ، مما قيده عن طريق الرواية والسماع، فقد كان عثوره على المصادر وأخذ الفوائد منها، عدا عن الكتب التي اقتناها المؤلف واعتمد على كتب رتبها عند الوراقين أو في المكتبات العامة، فقد رأى لإبراهيم بن محمد اليزيدي كتابا في اللغة اسمه " ما اتفق لفظه واختلاف معناه " في أربع مجلدات، ووصفه من الكتب النفيسة، ورأى نسخة في صريع الدلاء.(2)

وقد كان يتطرق دائما إلى كتاب الأنساب للسمعاني ، ولكنه لم يجد الكتاب بمصر حين بدا التأليف وكذلك يبدو أن اطلاعه على الذيل للسمعاني إنما تم في مرحلة متأخرة، وقد مكنته إقامته بدمشق من أن يرى ديواناً دوبيت لفتيان الشاغوري، وبعدها تملك بدمشق نسختين من ديوان ابن الرومي بعد أن كان يسمع أن له ديواناً صغيراً فوجده في عشرة كراريس، وقد رأى

ابن خلكان نسخة من مقامات الحريري سنة 676هـ ـ، بخط مصنفها، وعندما اطلع عليها وجد أنها أُلفت للوزير جلال الدين، وفي مصر تعرف إلى كتب السيل والذيل للعماد الأصفهاني، ومن أهم مصادره التي اعتمد عليه كتاب تاريخ ابن الأثير[3]، وحين تخلى ابن خلكان عن القضاء مكنه ذلك من الاطلاع على مصادر كثيرة.[4]

أما مصادر ترجمته التي استمد منها كتابه فهي نوعان:

1 - الكتب القديمة.

2 - ما سمعه أو شاهده بنفسه.

فقد رجع إلى كتب كثيرة جداً، وهذا واضح في كتابه، فرجوعه إلى مصادر مفقودة إلى يومنا هذا زاد كتابه قيمة كبيرة، ومصادر أخرى متوفرة منها:

1 - تاريخ بغداد لابن النجار

2 - تاريخ حلب لابن العديم

---

(1) الطاهر، علي جواد، ملاحظات على وفيات الأعيان، بيروت، ط1، 1977م، ص5

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج7 / ص 66

(3) ابن الأثير: أحمد بن محمد الصاحب، تاج الدين بن شرف الدين ابن الأثير، توفي بغزة سنة 691ه، الزركلي، الأعلام، ج6 / ص241

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ج3 / ص70

3 - مروج الذهب للمسعودي

4 - الحماسة للبياسي

5- أخبار قضاة مصر لابن زولاق.[1]

أما منهجه فقد أورد ابن خلكان في مقدمة كتابة، إذ قال: " ولم أقصر هذا المختصر على طائفة مخصوصة من العلماء أو الملوك أو الشعراء ... بل كل من له شهرة بين الناس ويقع السؤال عنه".[2]

ومع ذلك فإن ابن خلكان لم يذكر الأعلام كافة، وإنما اكتفى بإثبات ما تدعو الحاجة إليه، ولذلك فقد اغفل تراجم الصحابة والخلفاء والتابعين لأن الكتب التي اعتنت بذلك كثيرة، ولكنه اهتم بذكر أعلام زمانه، ومن منهجيته أنه يذكر الأشعار والأقوال المتصلة بصاحب الترجمة.[3]

وقد ذكر تراجم العلماء والملوك والوزراء والشعراء والفقهاء، مع ذكر محاسن كل شخص منهم بما يليق به من نادرةٍ أو شعرٍ أو رسالةٍ، وقد اثبت ابن خلكان مولد المترجم له ووفاته، وهذا الأمر يسهل على الباحث والطالب عملية البحث، وقد مال ابن خلكان في منهجه إلى

ترتيب المترجم لهم حسب الحروف الهجائية، فيقول في ذلك: (.. والتزمت فيه تقديم من كان أول اسمه الهمزة؛ ليكون أسهل للتناول، وإن كان هذا يفضي إلى تأخير المتقدم وتقديم المتأخر وإدخال من ليس مِن الجنس بين المتجانسين)، فقد كان يعتمد في ترتيب تراجمه على حرف الاسم دون اللقب أو الكنية.[4]

وقد كانت خطته في تأليف كتابه هذا في انه لم يترجم إلا لمن عرف تاريخ وفاته، وقد أكد هذا مرات عديدة في كتابه، فلم يترجم للحسن بن وهب، ولم يترجم لابن كلثوم بن عمرو العتابي، ولم يذكر أحدا من الصحابة ولا التابعين، إلا جماعة يسيرة يشير إلى التابعين وحدهم أو إلى الصحابة أيضاً، ولم يذكر أحداً من الخلفاء، وقد ذكر جماعة ممن شاهدهم أو نقل عنهم أو عاصروه ولم يقصر كتابه على جماعة من الملوك أو الخلفاء أو العلماء، بل على كل من له شهرة، ويقوم بذكر محاسن الناس من نادرةٍ أو شعرٍ أو فكاهةٍ؛ وذلك لطرد الملل.[5]

وقد مال ابن خلكان إلى الاعتدال في كتابه، وذلك في ذكر أجود الأشعار للمترجم لهم وأهم

---

(1) المنجد،أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب، ص138 – ص140

(2) غطاشه، مصادر الدراسات الأدبية واللغوية، ص99

(3) المرجع السابق : ص100

(4) المرجع السابق، ص100- ص110

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج7 / ص77

الأقوال، وهذا واضح في كتابه، فكان يعالج تراجمه بسماحة خلق وسعة صدر، ومثال ذلك ترجمته لابن الراوندي، ويتمتع الكتاب بدقة فائقة، ولذلك عد وفيات الأعيان مصدراً هاماً من مصادر ضبط الأعلام وأسماء الأماكن، وانعكست الروح الأدبية على ابن خلكان، وكان ميله إلى الشعر يجعله يجهد في البحث عن شعر لأشخاص ليس لهم في ميدان الشعر نصيب كبير، وقد كانت رؤيته للحسنات أكثر من ذكر السيئات والعيوب، وهذه الخاصية تمثلها تمام التمثيل، فمثلاً هو ينقل ما قاله الفتح بن خاقان[1] في ابن باجة، ويعلق على ذلك بقوله: " ولقد بالغ ابن خاقان في أمره وجاوز الحد فيما وصفه به من هذه الاعتقادات الفاسدة، وا أعلم بكنه حاله ".[2]

ولم يورد تعليقاً على هذا الاعتقاد، فذهب يبحث عن أسباب العداء بين الفتح بن خاقان وابن باجة الفيلسوف، فقد كان ابن خلكان يكره التمادي في العيوب، وقد يقال إن مثل هذا يناقض روح العدالة الصارمة، والحكم على شيء في الماضي يحتاج إلى شواهد يقينية قد

ضاعت.[3]

ومن الإنصاف أن نقول إن الروح الأدبية أو ميله إلى جانب الحسنات لم يستطيعا أن يكبلا روح المؤرخ الناقد لديه، فمن أسلوب ابن خلكان أنه لا ينقل الخبر إلا بعد تمحيص، والتأكد من صحة هذا الخبر، فمثلا ذكر في وفيات الأعيان أن والد الفراء حضر واقعة الحسين بن علي، فتعقبه في هذا الأمر لأن الفراء الذي عاش 63 سنة ولد سنة144هـ بينما كانت تلك المعركة (معركة كربلاء) سنة 63ه ومن غير المعقول أن يحضر والده تلك المعركة ويعيش ذلك العمر الطويل، فهذا كلام متناقض، ومضى ابن خلكان في كتابه يناقش ويقرر، فكان نقده معتمداً على الحساب الزمني.**[4]**

ولم يغفل ابن خلكان دور الشافعيين، والمذهب الشافعي عليه، ومعنى هذا الكلام انتماءه للمذهب الشافعي، وذلك ليس للتعصب وإنما للدور الفاعل الذي قام به الشافعيون في تاريخ الفكر والفقه، فابن خلكان لم يكتب تاريخاً وإنما كان لديه أدوات المؤرخ، فيبدأ بالتاريخ ثم بجمع الأخبار**[5]**

---

(1) الفتح بن خاقان: أبو محمد التركي شاعر بليغ، استوزره المتوكل، وفوض إليه أمر الشام، قتل مع المتوكل سنة 47ه، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج12 / ص82

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج7 / ص78

(3) المصدر نفسه : ج7 / ص79

(4) المصدر نفسه : ج 7 / ص79

(5) المصدر نفسه : ج 7 / ص80

الفصل الثاني
الموضوعات الشعرية

1.2 االمدح:

اتخذ الشعراء العباسيون المدح وسيلة للتكسب، واجتهدوا على أن يكون في مستوى من الجودة ينالون به المال أو تحقيق رغباتهم من منزلة أو مكانة يسمون بها، وقد شغل المدح قسماً كبيراً من أشعارهم، وجعلوا من يمدحونه في أعلى مرتبة من الشجاعة والنجدة والكرم والمروءة، مشرقة فقد طبعوا صفات ممدوحهم بسمة خاصة من السمو، وبصبغة عربية خالصة، مغرقة في البداوة، واختاروا أجمل صفات الممدوح وجعلوها جذابة قريبة

من القلب، ولذلك عدت مدائحهم مادة خصبة لتاريخ عصرهم، وامتازت أساليبهم في المدح بالسهولة واللفظة الجذابة، بعيداً عن التكلف، وادخروا مدائحهم الطويلة لأعظم الممدوحين قوةً وثراءً من ملوك ووزراء ورؤساء وأعظم رجال الدولة وأدباء وغيرهم، ولذلك تفوقوا في شعر المديح، ومن أشهر شعراء المدح في هذا العصر أبو العتاهية، ومن مديحه يقول:

إني أمنتُ من الزمان وصرفه   لما علقتُ من الأمير حِبالاً

لو يستطيع الناس من إجلاله   تَخِذُوا له حر الخدودِ نِعالاً

إن المطايا تشتكيك لأنها   قَطَعتْ إليك سباسِباً ورمالاً

فإذا وردن بنا خفائفاً   وإذا صدرن بنا صدرن ثقالاً[1]

فهذه الأبيات قالها في عمرو بن العلاء، فأعطاه سبعين ألفا، فغار الشعراء من ذلك، فجمعهم ثم قال: يا معشر الشعراء عجبا لكم ! ما أشد حسدكم بعضكم بعضاً!.[2]

وفي مجلس المهدي، أذن للناس في الدخول عليه، فدخلوا وأمرهم بالجلوس، وكان هناك بشار بن برد، فسكت المهدي وسكت الناس، فسمع بشار حساً، وإذ هو أبو العتاهية، ينشد في المهدي:

أتته الخلافة منقادة   إليه تجرِّرُ أذيالها

فلم تَكُ تصلح إلاَّ له   ولم يَكُ يصلح إلا لها

ولو رامها أحدٌ غيره   لزلزلت الأرض زلزالها

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج1 / ص220

(2) المصدر السابق: ج1 / ص221

ولو لم تُطِعه بنات القلوب   لما قَبِلَ ا أعمالها[1]

وقد كان المنصور والمهدي يقدمان الشعراء ويفضلان ويستطيبان نوادرهم، فقد مدح[2] المنصور وذكر قتله أبا مسلم من جملة قصيدة فقال فيها:

أبا مسلم خوفتني القتل فانتحى   عليك بما خوفتني الأسد الورد

أبا مسلم ما غير ا نعمةً   على عبده حتى يغيرها العبد[3]

فأعطاه المنصور عشرة آلاف درهم.

ومن أشهر شعراء المدح أيضا بهاء الدين زهير فقد مدح الملك المسعود صلاح الدين يوسف ابن الملك الكامل رحمه ا فيقول:

وتهتز أعواد المنابر باسمه فهل ذكرت أيامها وهي قضبان

فدع كل ماء حين يذكر زمزم ودع كل واد حين يذكر نعمان

وله قصيدة يمدح بها الأمير علاء الدين ولد الأمير شجاع الدين التقي بثغر دمياط[4] سنة خمس وستمائة، وهي أول شيء قاله من المدح:

فيا ظبي هلاّ كان فيك التفاتة ويا غصن هلاّ كان فيك تعطفُ

ويا حرم الحسن الذي هو آمن وألبابنا من حوله تتخطفُ

وفي مدح الملوك والوزراء والرؤساء، نجد ابن نباته [5] يمدح سيف الدولة بن حمدان[6] غُر القصائد ونخب المدائح، وكان قد أعطاه فرساً أدهم أغر محجلاً فكتب إليه:

يا أيها الملك الذي أخلاقه من خَلْقِهِ يعقُد وراؤُه من رائه

قد جاءنا الطرفُ الذي أهديته هاديه يعقُد أرضه بسمائه

أولايةً وليتَنا فَبعثْتَه رمحاً سبيب العرفِ عقد لوائه

نختل منه على أغر محجلٍ ماء الدياجي قطرةٌ من مائه

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج1 /ص221

(2) أبو دلامة هو زند بن الجون، كان عبداً حبشياً وآخر بني أمية، صاحب نوادر وحكايات وأدب ونظم، عاش إلى أوائل دولة الرشيد، توفي سنة 161ه، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج7 / ص374

(3) علي حسن، رشدي، ديوان أبي دلامة الأسدي، بيروت، ط1، 1985م، ص55

(4) ثغر دمياط: دمياط، مدينة قديمة بين تِنيس ومصر، وهي ثغر من ثغور الإسلام، أي مكان قريب من العدو، الحموي، معجم البلدان، ج2 / ص76، 47

(5) ابن نباته، عبد العزيز بن عمر بن محمد ،أبو نصر،التميمي السعدي كان شاعراً مجيداً، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج3/ ص190

(6) سيف الدولة، أبو الحسن علي بن عبدا بن حمدون، توفي سنة ست وخمسين وثلاثمائة بحلب، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج3 / ص401

ما كانت النيران يكمن حرها لو كان للنيران بعض ذكائه

لا تَعلقُ الألحاظُ في أعطافه إلا إذا كَفْكَفْتَ من غُلَوائه

لا يكمِلُ الطرف المحاسِن كلها حتى يكون الطرف من أسرائه[1]

وهذا المعنى الذي وقع له في صفة الغرة[2] والتحجيل[3] في غاية الإبداع، وله في سيف الدولة أيضاً لامية طويلة ومن جملة أبياتها قوله:

قد جدتَ لي باللها حتى ضجِرتُ بها و كِدتُ من ضجري أُثني على البخَل

إن كنتَ ترغب في أخذ النوال لنا فاخلق لنا رغبةً أو لا فلا تنُل

لم يبق جودك لي شيئا أؤمله تركتني أصحب الدنيا بلا أمل[4]

وقد مدح ابن شمس الخلافة[5] الوزير ابن شكر، وهو الصفي أبو محمد عبدا بن علي، وزير الملك العادل وولده الملك الكامل رحمهما ا فيقول:

مدحتْك ألسنة الأنام مخافة وتشاهدتْ لك بالثناء الأحسن

أترى الزمان مؤخرا في مدتي حتى أعيش إلى انطلاق الألسن

ومن شعراء هذا العصر الفضل بن يحيى البرمكي فقد كان أخا هارون الرشيد في الرضاعة ولذلك لتقاربهما في المولد، وقد قال مروان بن أبي حفصة يمدح الفضل:

كفى لك فضلا أن أفضل حرة غذتك بثدي والخليفة واحد

لقد زنتَ يحيى في المشاهد كلها كما زان يحيى خالدا في المشاهد

وكثر المادحون له فمدحه إسحاق بن إبراهيم الموصلي بأبيات منها:

لو كان بيني وبين الفضل معرفة فضل بن يحيى لأعداني على الزمن

هو الفتى الماجد الميمون طائره والمشتري الحمد بالغالي من الثمن

وقد مدح البرامكة جميع شعراء عصرهم، فمن ذلك قول مروان بن أبي حفصة، في الفضل المذكور:

عندي الملوك منافع و مضرة وأرى البرامك لا تضر و تنفع

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج3/ ص190

(2) الغرة: الغُر، جمع الأغر، من الغرة، بياض الوجه، الجزري، ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات (ت: 606ه)،

النهاية في غريب الحديث والأثر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ج3 / 318

(3) التحجيل: بياض يكون في قوائم الفرس كلها، ابن منظور، لسان العرب، ج11 / ص145

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج3/ ص191

(5) ابن شمس الخلافة، أبو الفضل جعفر بن شمس الخلافة الملقب مختار الملك الشاعر، ابن خلكان، وفيات الأعيان: ج1 / ص362

ومدحه أبو نُواس بقصائد، قال في بعضها:

سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالدٍ هواك لعل الفضل يجمع بيننا[1]

وكان الفضل بن سهل[2] الملقب بذي الرياستين[3] وكان من أَخْبر الناس بعلم النجامة (التنجيم)، وأكثرهم إصابة في أحكامه ،وكان قد مرض بخراسان وأشرف على التلاف، فلما أصاب العافية جلس للناس، فدخلوا عليه وهنوه بالسلامة، وتصرفوا في الكلام، فلما فرغوا من كلامهم أقبل على الناس وقال: إن في العلل لنعما لا ينبغي للعقلاء أن يجهلوها تمحيصا للذنوب، والتعرض

لثواب الصبر، والإيقاظ من الغفلة، والإذكار بالنعمة في حال الصحة، واستدعاء التوبة، والحث على الصدقة.

وقد مدحه جماعة من أعيان الشعراء، وفيه يقول إبراهيم بن العباس الصولي:

لفضل بن سهل يد تقاصر عنها المثل

فنائلها للغنى و سطوتها للأجل

وباطنها للندى و ظاهرها للقبل[4]

وفيه يقول أبو أيوب التميمي:

لعمرك ما الأشراف في كل بلدة وإن عظموا للفضل إلا صنائع

تواضع لما زاده ا رفعةً وكل جليل عنده متواضع[5]

وقد كان عضد الدولة [6] رجلا فاضلا محبا للفضلاء، مشاركا في عدة فنون، وصنف له الشيخ

أبو علي الفارسي كتاب " الإيضاح " و " التكملة " في النحو، و قصده فحول الشعراء في عصره،

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص29

(2) الفضل بن سهل، الفضل بن سهل السرخسي أخو الحسن بن سهل، أسلم عل يد المأمون في سنة تسعين ومائة، توفي سنة سنتين ومائتين بخراسان، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص 41

(3) ذي الرياستين: الحرب والسياسة، صلواتي ، الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، مؤسسة التاريخ العربي، ج5 / ص2018

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4 / ص43

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص43

(6) عضد الدولة بن ركن الدولة أبي علي الحسن ابن بويه الديلمي الملقب بعضد الدولة، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص51

ومدحوه بأحسن المدائح، فمنهم أبو الطيب المتنبي، ورد عليه وهو بشيراز في جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، وفيه يقول من جملة قصيدته المشهورة الهائية:

وقد رأيت الملوك قاطبة وسرتُ حتى رأيت مولاها

و من مناياهم براحته يأمرها فيهم وينهاها

أبا شجاع بفارس عضد الـ ـدولة فناخسرو شهنشاها
أسامي لم تزده معرفة وإنما لذةً ذكرناها[1]

وهذه القصيدة أول شيء أنشده.

ثم أنشد المتنبي قصيدته النونية التي ذكر فيها شعب بوان، ومنها قوله:

يقول بشعب بوان حصاني أعن هذا يسار إلى الطعان
أبوكم آدم سن المعالي وعلمكم مفارقة الجنان
فقلت: إذا رأيت أبا شجاع سلوت عن العباد وذا المكان
فإن الناس والدنيا طريق إلى من ما له في الناس ثاني

ومدحه بعد ذلك بعدة قصائد، ثم أنشده قصيدته الكافية يودعه فيها، ويعده بالعود إلى حضرته، وذلك صدر شعبان من السنة المذكورة، ومن جملة هذه القصيدة:

أروح وقد ختمت على فؤادي بحبك أن يحل به سواكا
وقد حملتني شكرا طويلا ثقيلا لا أطيق به حراكا
أحاذر أن يشق على المطايا فلا تمشي بنا إلا سواكا
لعل ا يجعله رحيلا يعين على الإقامة في ذُراكا
فلو أني استطعت خفضت طرفي فلم أبصر به حتى أراكا
و كيف الصبر عنك وقد كفاني نداك المستفيض وما كفاكا[2]

وما أحسن قوله في نفس القصيدة:

ومن أعتاض عنك إذا افترقنا وكل الناس زور ما خلاكا
وما أنا غير سهم في هواءٍ يعود ولم يجد فيه امتساكا

وكان لأبي الطاهر ابن مكنسة بستان مجاور جامع الحاكمية، ونظرته المعروفة بالنزهة ولها بئر

---

(1) عمران، عبد اللطيف، الأدب العربي في بلاط عضد الدولة البويهي، دمشق، ط20021م، ص52.

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان :ج4 / ص 52.

موصوف ماؤه بشدة البرد والحلاوة أيام الصيف حتى أن صاحب قصر الحكمة كان ينفـذ من يأخذ من مائها لشربه، وفيها يقول ابن مكنسة من جملة قصيدة يمـدح الأسـعد بـن مماتي[1] بها ويصف، فيقول:

ومن عجائبها البئر التي انفردت بالقر[2] في الحر والأمواه تضطرم

كأنما ماؤها في كل هاجرة ريق الحبيب عقيب الهجر وهي فم

وذكر الثعالبي[3] شيئاً من نظمه، فمن ذلك ما كتبه إلى أبي الفضل الميكالي:

لك في المفاخر معجزات جمةٌ أبداً لغيرك في الورى لم تجمع

بحران: بحر في البلاغة شأنه شعر الوليد وحسن لفظ الأصمعي[4]

كالنور أو كالسحر أو كالبدر أو كالوشي في بردٍ عليه موشع[5]

وإذا تفتق نَور شعرك ناضراً فالحسن بين مرصع و مصرع

أرجلت فرسان الكلام ورضت أفـ ـراس البديع وأنت امجد مبدع

ونقشت في فَص الزمان بدائعاً تزري بآثار الربيع الممرع[6]

ومن الشعراء الذين انقطعوا إلى الوزراء ونظموا فيهم أفضل شعر المدح أبو فرج الأصبهاني[7]

وله كتب كثيرة منها كتاب " القيان "وكتاب" الإماء و الشواعر " وكتاب " الديارات " وكتاب مجرد الأغاني "، وكان منقطعاً إلى الوزير المهلبي وله فيه مدائح، فقال أبو فرج في الوزير المهلبي:

ولما انتجعنا لائذين بظله أعان وما عنى ومن و ما منا

وردنا عليه مقترين فراشنا و ردنا نَداه مجدِبين فاخْصبا

---

(1) الأسعد بن مماتي القاضي أبو المكارم بن الخطير أبي سعيد مهذب بن مينا مماتي المتوفى سنة ستمائة، ابن خلكان، وفيات الأعيان :ج1/ ص212

(2) القر : البرد الشديد, انيس ابراهيم وعطيه صوالحه، المعجم الوسيط، دار عمران، ج2 ،ط3 ،1985م، ص725

(3) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري ولد سنة خمسين وثلاثمائة، وتوفي سنة تسع وعشرين وأربع مائة، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج3 / ص180

(4) الأصمعي: الإمام الحافظ، حجة الأدب، الأصمعي البصري، ولد سنة بضع وعشرين ومئة، أثنى عليه الإمام أحمد في كتاب السنة، له تصانيف كثيرة، وكان حافظ عصره، عاش ثمانياً ثمانين، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج10 / ص175

(5) الجادر، محمود عبدا ، ديوان الثعالبي، بيروت، مكتبة النهضة العربية، ط1، 1988م، ص88.

(6) المرجع نفسه: ص89.

(7) أبو فرج الأصبهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم القرشي الأموي، توفي سنة ست وخمسين وثلاثمائة ببغداد ابن خلكان، الوفيات : ج3 / ص309

وقد حكى أبو عبدا البيمارستاني أن أبا حفص الكرماني كاتب عمرو بن مسعدة كتب إلى محمد بن عبد الملك بن الزيات[1] : أما بعد، فانك ممن إذا غرس سقى، وإذا أسس بنى ليستتم بناء أساسه، ويجتني ثمرة غرسه، وبناؤك في ودي قد وهى وشارف الدروس، وغرسك عندي قد

عطش وأشفى على اليبوس فتدارك بناء ما أسست وسقي ما غرست، فقال: فحدثت بذلك أبا عبد الرحمن العطوي، فقال: في هذا المعنى يمدح محمد بن عمران:

إن البرامكة الكرام تعلموا فعل الجميل و علموه الناسا

كانوا إذا غرسوا سقوا وإذا بنوا لا يهدمون لما بنوه أساسا

وإذا هم صنعوا الصنائع في الورى جعلوا لها طول البقاء لباسا

فعلام تسقني – و أنت سقيتني كأس المودة – من جفائك كاسا

آنستني متفضلا، أفلا ترى أن القطيعة توحش الإيناسا؟[2]

ولابن الزيات ديوان رسائل جيد، وقد مدحه البحتري بقصيدته الدالية، وأحسن في وصفه وبلاغته، وقال في آخرها:

وأرى الخلق مجمعين على فضـ ـلك من بين سيدٍ و مسودِ

عرف العالمون فضلك بالعلـ ـــــــم وقال الجهال بالتقليدِ

ولأبي تمام فيه مدائح وجماعة من شعراء عصره.

وكان مشاهير الشعراء في العصر العباسي يمدحون ابن العميد[3] ومنهم أبو الطيب المتنبي ورد عليه وهو بأرجان، ومدحه بقصائد أولها:

باد هواك صبرت أو لم تصبرا و بكاك إن لم يجر دمعك أو جرى

ويقول أبو الطيب المتنبي أيضاً في ابن العميد من قصيدته :

أرجان أيتها الجياد فإنه عزمي الذي يذر الوشيج مكسرا

لو كنت أفعل ما اشتهيت فعاله ما شق كوكبك العجاج الأكدرا [4]

---

(1) الوزير ابن الزيات، محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة، المعروف ابن الزيات، وزير المعتصم، توفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج5/ ص94

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج5 / ص95

(3) ابن العميد، أبو الفضل محمد بن العميد أبي عبدا الحسين بن محمد الكاتب، والعميد لقب والده، توفي سنة ستين ثلاثمائة ببغداد، ابن خلكان، وفيات الأعيان ج5 / ص109

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ج5 / ص104

ويقول ابن نباته في مدح ابن العميد:

خرق صفت أخلاقه صفو السبيك من النضار

فكأنما رفدت موا هبه بأمواج البحار

وكأن نَشْرَ حديثه   نشر الخُزامى و العرار
وكأننا مما تفـ   ـــــــرق راحتاه في نثار
كاف بحفظ السر تحـ   ـسب صدره ليل السرار
إن الكبار من الأمو   ر تنال بالهمم الكبار
وإلى أبي الفضل اتبعـ   ـت هواجس النفس السواري[1]

وللصاحب بن عباد[2] فيه مدائح كثيرة، وكان ابن العميد قد قدم مرة إلى أصبهان والصاحب فيها فكتب إليه:

أهو الربيع أخو الشتا   أم الربيع أخو الكرم
قالوا الذي بنواله   لمن المقل من العدم
قلت الرئيس ابن العميـ   ـــــد إذاً، فقالوا لي نعم

ويقول بعض أصحاب العميد مادحاً له:

آل العميد وآل برمك مالكم   قل المعين لكم وذل الناصر
كان الزمان بحبكم فبدا له   إن الزمان هو الخؤون الغادر

وكان أبو السعادات (ابن الشجري)[3] نقيب الطالبيين بالكرخ نيابة عن والده الطاهر، وله شعر حسن فمن ذلك قصيدة يمدح بها الوزير نظام الدين أبا نصر المظفر بن علي ابن محمد بن جهير، وأولها:

هذي السديرةُ والغدير الطافح   فاحفظ فؤادك إنني لك ناصح
هل عائد قبل الممات لمغرم   عيشٌ تقضى في ظلالك صالح
ما أنصف الرشأ الضنين بنظرة   لما دعا مصغي الصبابة طامح

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج5/ ص 106

(2) الصاحب بن عباد: الوزير أبو القاسم إسماعيل بن عباد، له تصانيف في اللغة منها المحيط والكافي، كان شيعياً معتزلياً، صحب الوزير أبا الفضل بن العميد، ومن ثم شُهر بالصاحب، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج16 / ص511

(3) ابن الشجري، هبة ا بن علي بن محمد بن حمزة الحسني، الشريف أبو السعادات، كان إماما في النحو واللغة وأشعار العرب، توفي سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة، ودفن في بغداد، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج6/ ص45

ثم شطّ المزار به وبوئ منزلا   بصميم قلبك فهو دان نازح
له غصن يعطفه النسيم وفوقه   قمر يحف به ظلام جائح
وإذا العيون تساهمته لحاظها   لم يرو مرتع للمها ومسارح

ومن مدحه أيضاً:

يا صاحبي تأملا حييتما وسقى دياركما الماث الرائح

أدمىً بدت أعيوننا أم ربرب أم خرد أكفالهن رواجح

أم هذه مقل الصوار رنت لنا خلال البراقع أم قنا وصفائح[1]

وكان للشعراء المجيدين مجالس يجري بينهم فيها مفاكهات ومحاورات، وفي ذلك الوقت دخل

مصر شرف الدين ابن عنين[2]، فاحتفلوا به وعملوا له دعوات، وكانوا يجتمعون، وكانوا يقولون

هذا شاعر الشام، ومن محاسن شعره بيتان من جملة قصيدة يمدح بها القاضي ابن سناء الملك [3] فيقول:

ولو أبصر النظام جوهر ثغرها لما شك أنه الجوهر الفرد

و من قال إن الخيزرانة قدها فقولوا له إياك أن يسمع القد

ولما مدح ابن سناء الملك شمس الدولة توران شاه أخا السلطان صلاح الدين بقصيدة أولها:

تقنعتُ لكن بالحبيب المعمم وفارقت لكن كل عيش مذمم

تعصب عليه جماعة من شعراء مصر، وعابوا عليه هذا الاستفتاح وهجنوه، فكتب إليه ابن الذروي الشاعر:

قل للسعيد مقال من هو معجب منه بكل بديعة ما أعجبا

لقصيدك الفضل المبين، وإنما شعراؤنا جهلوا به المستغربا

عابوا التقنع بالحبيب ولو رأى لطائئ ما قد حكته لتعصبا

ومن القصائد البديعة في شعر المديح في هذا العصر قصيدة للأديب الفاضل جمال الدين بن مطروح:

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج6 / ص48

(2) ابن عنين، أبو المحاسن محمد بن نصر الحسين بن عنين الأنصاري، الملقب شرف الدين الكوفي الأصل الشاعر المشهور، توفي سنة تسع وأربعين وخمسمائة، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج5/ ص14.

(3) ابن سناء الملك، القاضي السعيد أبو القاسم، هبة ا بن محمد السعدي، الشاعر المشهور،ابن خلكان، الوفيات: ج6/ص61

هو ذا الربع[1] ولي نفس مشوقةٌ فاحبس الركب عسى اقضي حقوقه

يا صديقي و الكريم الحر في مثل هذا الوقت لا ينسى صديقه

قف معي واستوقف الركب فإن لم يقف فاتركه يمضي وطريقه

ومن الشعراء المشهورين في الذين أبدعوا في شعر المديح أيضاً (البحتري) فهو شاعر مجيد في هذا الغرض الشعري، فيقول: أول ما رأيت أبا تمام، وما كنت رأيته قبلها، إنني دخلت إلى أبي سعيد محمد بن يوسف، فامتدحته بقصيدتي التي أولها:

أأفاق صب من هوىً فأفيقا أم خان عهدا أم أطاع شفيقا

وللبحتري قصيدة طويلة أحسن فيها كل الإحسان، يمدح بها أبا الفضل جعفراً المتوكل على ا ، ويذكر خروجه لصلاة عيد الفطر:

بالبر صمت وأنت أفضل صائم و بسنة ا الرضية تفطر

فانعم بعيد الفطر عيداً إنه يوم أغر من الزمان مشهر

أظهرت عز الملك فيه بجحفل[2] لجب يحاط الدين فيه وينصر

خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت عددا يسير بها العديد الأكثر

فالخيل تصهر ، والفوارس تدعي والبيض تلمع، و الأسنة تزهو

والأرض خاشعة تميد بثقلها والجو معتكر الجوانب أغبر

والشمس طالعة توقد في الضحى طوراً ويطفيها العجاج الأكدر[3]

وله أيضاً في مدحه:

يجدون رؤيتك التي فازوا بها من أنعم ا التي لا تُكفر

ذكروا بطلعتك النبي فهللوا لما طلعت من الصفوف وكبروا

حتى انتهيت إلى المصلى لابسا نور الهدى يبدو عليك ويظهر

ومشيت مِشيةَ خاشع متواضع لا يزهى و لا يتكبر

فلو أن مشتاقا تكاف غير ما في وسعه لمشى إليك المنبر[4]

---

(1) الربع : المكان، ابن منظور، لسان العرب، ج8 / ص102

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج6/ ص265

(3) المصدر نفسه : ج6/ ص25

(4) المصدر نفسه : ج6/ ص25

1.1.2 الوصف:

يشغلُ الوصفُ حيزاً واسعاً في القسم الثاني من مراتب الموضوعات الشعرية، من حيث وفرة الأشعار الموجودة في الشعر العباسي في كتاب: " وفيات الأعيان "، فقد أبدعوا في وصف المعارك والحروب، والطبيعة، ومجالس الغناء والخمر والقصور ووصف الحيوانات، فيقول الثعالبي في وصف فرس أهداه إليه ممدوحه:

يا واهب الطرفْ الجواد كأنما قد أنعلوه بالرياح الأربع
لا شيء أسرع منه إلا خاطري في وصف نائلك اللطيف الموقع
ولو أنني أنصفت في إكرامه لجلال مهديه الكريم الألمعي
أقضمته حب الفؤاد محبة وجعلت مربطه سواد المدمع
وخلعت ثم قطعت غير مضيع برد الشباب لجله و البرقع [1]

فمن سمات وصفهم دقة التعبير، وهذا دليل على تأثير الموصوف في نفوسهم، فيختارون أجمل التعابير، من أجل إظهار صورة الموصوف كلوحة فنية ذات ملامح وقيم جمالية بديعة.

ومن أشهر الشعراء الذين وصفوا، عبدا بن المعتز فيقول في وصف الهلال:

كأن ابن مزنتها جانحاً فسيط لدى الأفق من خِنصر[2]

ويقول أبو تمام في المعقل والعقال:

فإن باشر الإصحار فالبيض[3] والقنا[4] قِراه ، وأحواض المنايا مناهلُه
وإن يبن حيطانا عليه فإنما أولئك عقالاتُه لا معاقلُه
و إلا فأعلمه بأنك ساخطٌ عليه فإن الخوف لا شك قاتله[5]

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان :ج3 / ص179

(2) المصدر نفسه : ج3 / ص80

(3) البيض: السيوف، ابن منظور، لسان العرب، ج7 / ص128

(4) القنا: الرمح الأجوف، وكل عصا مستوية أو معوجة، مدكور إبراهيم، المعجم الوسيط، دار عمران، ط3، 1985م، ج2، ص505.

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج1 / ص45

وكان أبو الحسن السري[1] شاعراً مطبوعاً عذب الألفاظ مليح المأخذ كثير الافتنان في التشبيهات والأوصاف، ولم يكن له رواء ولا منظر، ولا يحسن من العلوم غير قول

الشعر، وقد عمل شعره قبل وفاته نحو ثلاثمائة ورقة، ثم زاد بعد ذلك، ومن شعره في وصف صناعته، فمنها قوله:

وكانت الإبرة فيما مضى صائنَةً و جهي وأشعاري
فأصبح الرزق بها ضيقاً كأنه من ثقبها جاري

وللناشئ الأكبر[2] أشعار كثيرة في جوارح الصيد وآلاته، والصيود وما يتعلق بها، كأنه كان صاحب صيد، فأورد قصائد وطرديات على أسلوب أبي نُواس ومنها مقطوعات، فمن ذلك قوله في وصف بازٍ:

لما تفرى الليل عن أثباجه وارتاح ضوء الصبح لانبلاجهِ
غدوتُ أبغي الصيد في منهاجه بأقمرٍ وأبدع في نِتاجه
ألبسه الخالق من ديباجه وشْياً يحار الطرفُ في اندراجه
في نسقٍ منه و في انعراجه وزان فَوديه إلى حجاجهِ
بزينةٍ كفته نظم تاجه منْسِره ينبئ عن خِلاجه
و ظُفْره يخبر عن عِلاجه لو استضاء المرء في إدلاجه

وكان مما رآه الأصمعي " مر بنا أعرابي ينشد ابنا له، فقلنا له: صفه لنا، فقال: كأنه دنينير، فقلنا له: لم نره، فقال: فلم يلبث أن جاء بصغير ٌأسيد كأنه جعلٌ قد حمله على عنقه، فقلنا: لو سألتنا عن هذا لأرشدناك، ثم أنشد الأصمعي:

نِعم ضجيج الفتى إذا برد الليل سحيرا وقرقف الصرد[3]
زينها ا في الفؤاد كما زين في عين والد ولد[4]

---

(1) السري الرفاء بن أحمد بن السري الموصلي الشاعر المشهور، وكانت وفاته في سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ببغداد، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج2/ ص359

(2) الناشئ الأكبر، أبو العباس عبدا بن محمد الناشئ المعروف بابن شِر شِير الشاعر، كان من الشعراء المجيدين، توفي سنة ثلاث وتسعين ومائتين بمصر، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج3 / ص92

(3) الصرد: شديد البرودة، ومنه ليل صرود، البستاني، بطرس، محيط المحيط، دائرة المعاجم، بيروت، 1987م، ص505

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج3 / ص27

وحكى أبو الخطاب أن عون الحريري النحوي الشاعر دخل على أبي العباس النامي[1] قال: فوجدته جالساً ورأسه كالثغامة بياضاً وفيه شعرة واحدة سوداء، فقلت له:

يا سيدي في رأسك شعرة سوداء، فقال: نعم، هذه بقية شبابي وأنا أفرح بها، فوصف هذه الشعرة السوداء وهو قائلاً:

رأيت في الرأس شعرةً بقيت سوداء تهوى العيون رؤيتها[2]

فقلت للبيض إذ تُروعها با ألا رحمتِ غُربتها

فقل لبثُ السوداء في وطنٍ تكون فيه لبيضاء ضرتها[3]

ثم قال: يا أبا الخطاب بيضاء واحدة تروع ألف سوداء، فكيف حال سوداء بين ألف بيضاء ؟!

ومن شعر ابن طباطبا[4] في وصف الليل:

كأن نجوم الليل سارت نهارها فَوافت عِشاءً وهي أنضاء أسفار

وقد خَيمتْ كي يستريح ركابها فلا فلك جارٍ ولا كوكب سار[5]

وكان أبو بكر الخوارزمي يروي شعره واصفا العيار فيقول:

إن هذا العيار ألبس عطفي عسلياً وديني التوحيد

وفي يومٍ مر الأبله [6] على باب دار صديقه من أبناء البغاددة فوصف داره، فأنشد:

دارك يا بدر الدجى جنةٌ بِغيرها نَفْسِي ما تَلْهو

وقّد روي فِي خَبرٍ أنه أَكثَر أَهلُ الجنةِ البلهُ[7]

---

(1) أبو العباس النامي، أحمد بن الدرامي المصيصي المعروف بالنامي الشاعر المشهور، كان من فحولة شعراء عصره، توفي سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ابن خلكان، وفيات الأعيان :ج1/ ص125

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ج1 / ص126

(3) الجابر، سعود محمود عبد، الشعر في رحاب سيف الدولة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1981م، ص90.

(4) ابن طباطبا، أبو القاسم محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا الشريف الحسني الرسي المصري، وكان من أكبر رؤساء مصر، توفي سنة خمس وأربعين وثلاثمائة بمصر، ابن خلكان، وفيات الأعيان: ج1/ ص129

(5) علاونه، شريف، شعر ابن طباطبا العلوي الأصفهاني، دار المناهج، القاهرة، ط1، 2002م، ص83.

(6) الأبله، أبو عبدا محمد بن بختيار بن عبدا المولد، المعروف بالأبله البغدادي، الشاعر المشهور أحد المتأخرين المجيدين، جمع شعره بين الصناعة والرقة، وله ديوان شعر موجود بين أيدي الناس، توفي سنة تسع سبعين، ببغداد، وسمي بالأبله؛ لأنه كان فيه طرف من البله، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص463

(7) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص465

وذكر ابن حمدون[1] صاحب كتاب التذكرة، أنّه وقف على حكايات ذكرها نقلا

للتواريخ؛ وذلك في أوائل سنة اثنتين وستين وخمسمائة، فيقول في وصف مروحة الخيش:

ومرسلة معقودة دون قصدها مقيدة تجري حبيس طليقها

يمر خفيف الريح وهي مقيمة وتسري وقد سدت عليها طريقها

لها من سليمان النبي وراثة و قد عزيت نحو النبيط عروقها

إذا صدق النوء السماكي أمحلت وتمطر والجوزاء ذاك حريقها

تحيتها إحدى الطبائع أنها لذاك كانت كل روح صديقها[2]

وهذا أبو حفص الشطرنجي في وصف جاريةٍ حولاء:

حمدت الهي إذا بليت بحبها على حولٍ يغني عن النظر الشزر

نظرت إليها والرقيب يخالني نظرت إليه فاسترحت من العذر[3]

ومن المعاني العجيبة من شعر مهيار الديلمي[4] في وصف الناقة:

هواها ورآها والسرى من أمامها فهن صحيحات النواظر حولُ[5]

وكان القاضي يحيى الدين ابن الشهرزوري[6] جواداً، فقيل إنه أنعم في بعض رسائله

إلى بغداد بعشرة آلاف دينار أميرية، على الفقهاء والأدباء والشعراء والمحاويج، ويقال أنه في مدة حكمه بالموصل لم يعتقل غريماً على دينارين فما دونهما، بل كان يوفيهما عنه، ويخلي سبيله، ويحكى عنه مكارم كثيرة.

---

(1) ابن حمدون ،أبو المعالي محمد بن أبي سعد الحسن بن محمد بن علي بن حمدون الكاتب الملقب ، صنف كتاب " التذكرة "، توفي سنة اثنتين وستين وخمسمائة ، ببغداد، وكان موته في الحبس, ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص380

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص381

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص381

(4) مهيار الديلمي، أبو الحسن مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسي الديلمي، كان مجوسيا فاسلم، وكانت وفاته ثمان وعشرين وأربع مائة، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج5 / ص359

(5) الديلمي ، مهيار بن مرزويه ، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1970م، ج3، ص188.

(6) القاضي محي الدين ابن الشهرزوري، أبو حامد محمد بن القاضي كمال الدين الملقب محي الدين ، توفي سنة ست وثمانين وخمس مائة، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص248

وكان من النجباء، كريم الأخلاق له في الأدب مشاركات حسنة وله أشعار جيدة، فذلك ما أنشد له في بعض الأصحاب في وصف جرادة، وهو تشبيه غريب فيقول:

لها فخذ بكر وساقا نعامة وقادمتا نَسرٍ و جؤجؤ ضيغم

حبتْها أفاعي الرمل بطنا وأنعمت عليها جياد الخيل بالرأس والفم[1]

ويقول القاضي ابن الشهرزوري في وصف نزول الثلج:

ولما شاب رأس الدهر غيظا لما قاساه من فقد الكرامِ

أقام يميطُ هذا الشيب عنه وينثر ما أماط على الأنام [2]

ولما أقام فتيان الشاغوري [3] مدة بالزبداني وله فيها أشعار لطيفة، فمن ذلك قوله في جنة الزبداني، وهي أرض فيحاء جميلة المنظر تتراكم عليها الثلوج في زمن الشتاء وتنبت

أنواع الأزهار في زمن الربيع، فيقول في وصف أرض الزبداني[4]

قد أجمد الخمر كانون بكل قدح وأخمد الجمر في الكانون حين قدح

يا جنة الزبداني أنت مسفرة بحسن وجه إذا وجه الزمان كلح

فالثلج قطن عليك السحب تندفه و الجو يحلجه والقوس قوس قُزح [5]

ولما دخل إلى حمام ماؤه شديد الحرارة، أخذ يصفه أيضاً:

أرى ماء حمامكم كالحميم نُكايد منه عناء وبوسا

وعهدي بكم تسمطون الجِداء فما بالكم تُسمطون التيوسا [6]

ومن الشعراء المشهورين في هذه الفترة، وله باع طويلة في الشعر العباسي، " سيف الدولة بن حمدان ".

فقد كان فصيح اللسان وصاحب عقل راجح، وسيف الدولة مشهور بسيادته، فهو حلية الشعراء، ويقال: إنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء، ما اجتمع ببابه من شيوخ

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص247

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4 / ص247

(3) فتيان الشاغوري، الشهاب فتيان بن علي بن فتيان بن ثمال ، الأسدي الحريمي ، المعروف بالشاغوري المعلم، خدم الملوك ومدحهم وعلم أولادهم، توفي سنة خمس عشرة وستمائة، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4 / ص24

(4) الزبداني، بفتح الزاي، وهي قرية بين دمشق وبعلبك، كثيرة الأشجار والمياه، وهي في غاية الجمال، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج 4/ ص26

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص25

(6) المصدر نفسه : ص25

الشعر ونجوم الدهر، وكان أديباً شاعراً محباً لجيد الشعر، شديد الاهتزاز له، ومن محاسن شعره في وصف قوس قزح:

وساقٍ صبيحٍ للصبوح دعوته فقام وفي أجفانه سِنةُ الغُمض

يطوف بكاسات العقار كأنجم فمن بين منقض علينا ومنفض

وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفا على الجو دكناً والحواشي على الأرض

يطَرزها قوس السحاب بأصفَرٍ على أحمر في أخضر تحت مبيض

كأذيال خَودٍ أقبلت في غلائل مصبغة، و البعض أقصر من بعض[1]

وهذا من التشبيهات الملوكية، والبيت الأخير، أخذ معناه أبو علي الفرج بن محمد بن الأخوة المؤدب البغدادي (ت: 467ه)، فقال في وصف فرس أدهم محجل:

لَبِس الصبح والدجنةَ برد يـ ـ ـ ـ ـن فأرخى برداً وقَلّص بردا[2]

وللباخرزي[3] ديوان شعر كبير والغالب عليه الجودة فمن معانيه، في وصف البرد فيقول:

كم مؤمن قرصته أظفار الشتا فغدا لسكان الجحيم حسودا

وترى الطيور الماء في وكناتها تختار حر النار و السفودا

وإذا رميت بفضل كأسك في الهوى عادت عليك من العقيق عقودا

يا صاحب العودين لا تهملهما حرق لنا عودا وحرك عودا[4]

ومن الشعراء المجيدين الذين أبدعوا في موضوع الوصف الشعري، أحمد القطرسي النفيس[5] ومن شعره يصف دير القصير أولها:

محل يريك النيل والروض والمها ويدني من النجم البعيد مزارا

وتهدي إلى أبصارنا وقلوبنا بغير عناء قوة و قدارا

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج3 / ص402

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج3 /ص402

(3) الباخرزي، أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الشاعر المشهور، اشتغل بالفقه على مذهب الشافعي، وقتل في مجلس أنس في سنة سبع وستين وأربعمائة،عبد الرحمن، معجم الشعراء العباسيين : ص62)

(4) التونجي، محمد، ديوان الباخرزي، دار صادر، بيروت، ط1، 1994م، ص101.

(5) أحمد القطرسي النفيس، أبو العباس احمد بن أبي القاسم عبد الغني بن احمد بن عبد الرحمن اللخمي المالكي القُطرسي، المنعوت بالنفيس، كان من الأدباء، وقطرسي نسبةً لجده توفي سنة ثلاث وستمائة، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج1/ ص166

ركبت به إلى اللذات طِرفاً له جسم وليس له فؤاد
جرى فظننت أن الأرض وجه ودجلة ناظر، وهو السواد[1]

وفي يوم دعِي السلامي إلى جمع من الشعراء وكان منهم أبو الفرج الببغاء[2]، فلما رأى السلامي عجب منه لبراعته مع حداثة سنه، فاتهموه بأن الشعر ليس له، فقال الخالدي[3] أنا أكفيكم أمره، واتخذ دعوة جمع فيها الشعراء، وأحضر السلامي المذكور معهم، فتوسطوا وأخذوا التفتيش في بضاعته، إلى أن جاء مطر شديد وبرد ستر وجه الأرض، فقال الخالدي هل لكم أن نصف هذا ؟ فقال السلامي ارتجالاً:

در الخالدي الأوحد الندب الخطير
أهدى لماء المزن عنـ ـــــــد جموده نار السعير
حتى إذا صدر العتا ب إليه عن حر الصدور
لا تعذلوه فإنه أهدى الخدود إلى الثغور[4]

ومن أوصاف السلامي أيضا، فدخل مرة على أبي تغلب، وبين يديه درع، فقال:

يا رب سابغةٍ حبتْني نعمةً كافأتها بالسوء غير مفندِ
أضحت تصون عن المنايا مهجتي وظللت أبذلها لكل مهند[5]

وكان يقال ببغداد: إن زماناً جاد بمثل ابن سكرة [6] وابن حجاج لسخي جداً، وما شُبها إلا بجرير والفرزدق في عصرهما، ويقال إن ديوان ابن سكرة يربي على خمسين ألف بيت فمن بديع ما قاله في وصف غصن رآه في يد غلام وعليه زهر، فيقول:

غصن بانٍ بدا وفي اليد منه غصن فيه لؤلؤ منظوم

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان :ج1/ ص224

(2) الببغاء، أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي الشاعر المعروف، ولقب بهذا اللقب وذلك لحسن فصاحته، وقيل للثغة كانت في لسانه، توفي سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج3 / ص199

(3) الخالدي أبو عبدا محمد بن نصر بم صغير بن داغر المخزومي الخالدي الحلبي الملقب شرف المعالي، المعروف لابن القيسراني من الشعراء المجيدين والأدباء المتفننين، والقيسراني نسبة إلى قيسارية، وهي بليدة بالشام على ساحل البحر، توفي سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص458

(4) الدهان، سامي، ديوان الخالدين، دمشق، ط1، 1969م، ص176.

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص405

(6)ابن سكرة، أبو الحسن محمد بن عبدا بن محمد الهاشمي البغدادي، وتوفي سنة 380ه، ابن خلكان، وفيات الأعيان :ج4 / ص410

فتحيرتُ بين غصنين في ذا قمر طالع وفي ذا نجوم

وله بيتان من الشعر يصف فيهما غلاماً أعرج فيقول:

قالوا بليتَ بأعرج فأجبتهم العيب يحدث في غصون البان

إني أحب حديثه وأريده للنوم لا للجري في الميدان[1]

وقال أبو الثناء محمود بن نعمة بن أرسلان النحوي الشيزري في وصف الشباب:

لقد بان الشباب و كان غصنا له ثمر وأوراق تظلك

وكان البعض منك فمات فاعلم متى ما مات بعضك مات كلك

وحضر الخالدي المقدم ذكره مرة في سماع مغن حسن الغناء، فطربت له الجماعة، فوصف حسن صوت المغني فقال:

وا لو أنصف العشاق أنفسهم فدوك منها بما عزوا وما صانوا

ما أنت حين تُغني في مجالسهم إلا نسيم الصبا والنوم أغصان[2]

و كان جعفر البرمكي[3] مشهوراً بعطاياه، ويقال أنه لما حج اجتاز طريقه بالعقيق، وكانت سنة مجدبة، فاعترضته امرأة من بني كلاب وأنشدته، تصف الموقف:

إني مررت بالعقيق و أهله يشكون من مطر الربيع نُزورا

ما ضرهم إذ جعفر جار لهم أن لا يكون ربيعهم ممطورا

وفي يوم مر بجعفر البرمكي يهودي وقال له: إن الرشيد يموت في يوم كذا وكذا، فقال له: وأنت كم عمرك ؟ فكذب عليه في أمره، فأمر بصلب اليهودي، فقال أشجع السلمي في اليهودي المصلوب وهو يصفه:

سل الراكب الموفي على الجذع هل رأى لراكبه نجماً بدا غير أعور

و لو كان نجماً مخبراً عن منيةٍ لأخبره عن رأسه المتحير

يعرفُنا موتَ الإمام كأنه يعرفُنا أنباء كِسرى و قيصر

أتخبر عن نَحس لغيرك شُؤمه و نجمك بادي الشر يا شر مخْبر[4]

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص411

(2) المصدر نفسه : ج4/ ص 460

(3) جعفر البرمكي، أبو الفضل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك بن جاماس البرمكي، وزير هارون الرشيد، وكان من ذوي الفصاحة والمشهورين بالبلاغة، توفي سنة 187ه، ابن خلكان، وفيات الأعيان :ج1/ ص328

(4)ابن خلكان، وفيات الأعيان :ج1 / ص329

ويقول ابن أسعد الموصلي[1] واصفاً غلاماً لسعته نحلة في شفته:

بأبي من لسعته نحلةٌ   آلمت أكرم شيء و أجل
أثرت لسعتُها في شفةٍ   ما يراها ا إلا للقُبل
حسبت أن بفيه بيتَها   إذ رأت ريقَتَه مثلَ العسل[2]

وأنشد بهاء الدين زهير، الملقب، من فضلاء عصره شعراً في وصف القفل:

وأسود عارٍ أنحل البرد جسمه   وما زال من أوصافه الحرص والمنْع
وأعجب شيء كونه الدهر حارساً   وليس له عين وليس له سمع[3]

ومن أشهر الحكماء في هذا العصر ابن سينا[4] الحكيم المشهور، فكان نادرة عصره في علمه وتصنيفه وذكائه، وله شعر في النفس فيقول:

هبطت إليك من المحل الأرفع   ورقاء ذات تعززٍ و تمنع
محجوبةٌ عن كل مقلة عارف   وهي التي سفَرتْ فلم تتبرقع
وصلت على كره إليك وربما   كرهت فراقك وهي ذات تفجع
أنفت وما الفت فلما واصلت   ألِفَت مجاورة الخراب البلقع[5]
وأظنها نسيت عهودا بالحمى   ومنازلا بفراقها لم تقنع
حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها   من ميم مركزها بذات الأجرع[6]

وأيضاً في النفس:

عِلقت بها ثاء الثقيل فأصبحت   بين المعالم والطلول الخُضع
تبكي وقد نسيت عهوداً في الحمى   بمدامع تَهمي ولما تقلع[7]

---

(1) ابن أسعد الموصلي، أبو الفرج عبدا بن اسعد بن علي بن عيسى المعروف بابن الدهان الموصلي،ويعرف بالحمصي أيضا، الفقيه الشافعي المنعوت بالمهذّب، توفي سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة بمدينة حمص، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج 3/ ص57

(2)ابن خلكان، وفيات الأعيان :ج1 / ص 60

(3)ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج2/ ص338

(4)ابن سينا، الرئيس أبو علي، الحسين بن عبدا بن سينا الحكيم المشهور، كان أبوه من أهل بلخ، تنقل بالبلاد واشتغل بالعلوم والجبر والهندسة، وتوفي بهمذان سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ودفن بها، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج2/ ص157

(5)البلقع : الأرض القفر، التي لا شيء فيها، البستاني بطرس، معجم محيط المحيط، دائرة المعاجم، مكتبة لبنان، بيروت، 1987م، ص53.

(6)ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج2/ ص160

(7)المصدر نفسه: ج2 / ص160

2.1.2 الرثاء:

لقد ازدهر الرثاء أيضاً في هذا العصر، وكان له مجموعة عظيمة من الشعراء، فرثى الشعراء الخلفاء وكبار رجال الدولة وذويهم، وقد أجادوا فيه, وكانت مراثيهم مطابقةً لقريحتهم، وملائمةً لشاعريتهم، وامتازت مراثيهم بصدق العاطفة، والإخلاص نحو من يرثون، وجاء الرثاء من حيث الكم في المرتبة الثالثة من بين الأغراض الشعرية في وفيات الأعيان.

ومن أشهر رجال الدولة الفاطمية المعروفين الوزير الصالح بن رزيك[1]، فقد كان وزيراً بمصر، وعندما مات رثاه الفقيه عمارة اليمني[2] بقصيدة منها:

أفي أهل ذا النادي عليم ٌأسائِله فإني لما بي ذاهِب اللب ذاهلُه
سمعتُ حديثا أحسد الصم عنده ويذْهلُ واعيه ويخرس قائله
فهل من جوابٍ يستغيث به المنى ويعلو على حق الُمصيبةِ باطله
وقد رابني من شاهِدِ الحال أنني أرى الدستَ منصوباً وما فيه كافله
فهل غاب عنه واستناب سليلُه أم اختار هجراً لا يرجى تواصله
فإني أرى فوق الوجوه كآبة تدل على أن الوجوه ثواكله[3]
دعوني فما هذا أوان بكائه سيأتيكم طل البكاءِ ووابله
ولا تُنكروا حزني عليه فإنني تقشّع عني وابلٌ كنت آمله
ولِم لا نبكيه ونندب فقده وأولادنا أيتامه وأرامله؟
فيا ليت شعري بعد حسن فعاله وقد غاب عنّا ما بنا ا فاعله[4]

وعندما توفي الصابئ صاحب الرسائل[5] وله رسائل مشهورة ونظمٍ بديع، وكان كاتب

---

(1) الصالح بن رزيك، أبو الغارات طلائع بن رزيك الملقب الملك الصالح وزير مصر، كان واليا بمنية بني خصيب من أعمال صعيد مصر، توفي سنة ست وخمسين وخمسمائة، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج 2/ ص526

(2) عمارة اليمني، الفقيه أبو محمد عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان بن أحمد الحكمي اليمني، الملقب نجم الدين، الشاعر المشهور،

توفي سنة تسع وستين وخمسمائة، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج3/ ص431

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج2/ ص528

(4) المصدر نفسه : ج2/ ص529

(5) المصدر نفسه: ج1/ ص53

الإنشاء ببغداد عند عز الدولة بختيار[1] بن معز الدولة بن بويه الديلمي، رثاه الشريف الرضي[2] بقصيدته الدالية فيقول:

أرأيت من حملوا على الأعواد ؟ أرأيت كيف خبا ضياء النادي ؟

وعاتبه الناس في ذلك لكونه شريفاً يرثي صابئاً، فقال: إنما رثيت فضله[2] وعندما مرض أبو العلاء المعري كان مرضه ثلاثة أيام، ومات في اليوم الرابع، ولم يكن عنده غير بني عمه فقال لهم في اليوم الثالث: اكتبوا عني، فتناولوا الدوي والأقلام، فأملى عليهم غير الصواب، فقال القاضي أبو محمد عبدا التنوخي[3]: أحسن ا عزاءكم في الشيخ فإنه ميت، فمات ثاني يوم، ولما توفي رثاه تلميذه أبو الحسن علي بن همام فيقول:

إن كنت لم تُرق الدماء زهادةً فلقد أرقْتَ اليوم من جفني دما
سيرتَ ذِكْرك في البلاد كأنه مسك فسامعةً يضمخُ أو فما
وأرى الحجيج إذا أرادوا ليلة ذكراك أخْرج فديةً من أحرما[4]

ولما قُتل المتنبي رثاه أبو القاسم المظفر بن علي الطبسي[5] فقال:

لا رعى ا سِرب هذا الزمان إذ دهانا في مثل ذاك اللسان
هو في شعره نبي، ولكن ظهرت معجزاتُه في المعاني[6]

ويقول أبو الطاهر ابن مكنسة المغربي في مرثيةٍ له في الأسعد ابن مماتي[7]

---

(1) عز الدولة البويهي بختيار، أبو منصور بن معز الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه الديلمي، توفي سنة سبع وستين وثلاثمائة، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج1/ ص267

(2) الشريف الرضي: أبو الحسن محمد بن الطاهر الحسيني الموسوي البغدادي الشاعر، صاحب الديوان، له كتاب معاني القرآن، توفي سنة 406ه، وله سبع وأربعون سنة، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17 / ص285

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج1/ ص53

(4) القاضي التنوخي، أبو القاسم بن أبي الفهم داود بن إبراهيم بن تميم بن جابر بن هانئ، وهو أحد ملوك تنوخ الأقدمين، كان عالما بأصول المعتزلة والنحو ، توفي سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة بالبصرة، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج3 / ص366

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج1/ ص115

(6) الطبسي، نسبة إلى مدينة نيسابور وأصبهان وكرمان ويقال لها طبس، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج1 / ص124

(7) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ج1/ ص 124

(8) الأسعد ابن مماتي، هو القاضي الأسعد أبو المكارم أسعد بن الخطير ابن أبي مليح مماتي، المصري الكاتب المشهور، له مصنفات عديدة، توفي سنة ست وستمائة بحلب، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج1 / ص 210

ولما مات شرف الدين(1) رثاه الشمس أبو العز يوسف بن النفيس الاربلي المعروف بشيطان الشام، وفيه يقول:

أبا البركات لو درتِ المنايا ... بأنك فرد عصرك لم تصبكا
كفى الإسلام رزأ فقد شخص ... عليه بأعين الثقلين يبكى(2)

وللشافعي أثر بارز في هذه الفترة الزمنية وذلك من خلال أشعاره، فقد كان كثير المناقب، جم المفاخر، وفي معرفة كلام العرب والشعر، ولما مات رثاه خلقٌ كثير، وهناك مرثية منسوبة إلى أبي بكر محمد بن دريد(3) في الشافعي، وأولها:

بمفلتقيه للمشيب طوالع ... زواجر عن ورد التصابي روادع
تَصرفْنَه طوع العنان وربما ... دعاه الصبا فاقتاده و هو طائع(4)
ومن لم يزعه لبه وحياؤه ... فليس له من شيب فَوديه وازع
هل النافر المدعو للحظ راجع ... أم النصح مقبولٌ أم الوعظ نافع
أم الهمِك المغموم بالجمع عالم ... بأن الذي يوعي من المال ضائع
وأن قصاراه على فرط ضنه ... فراقُ الذي أضحى له وهو جامع
ويخمل ذكر المرء ذي المال بعده ... ولكن جمع العلم للمرء نافع(5)

ويقول ابن دريد في رثاء الشافعي:

ألم تر آثار ابن إدريس بعده ... دلائلها في المشكلات لوامع
معالم يفنى الدهر وهي خوالد ... وتنخفض الأعلام وهي فوارع
مناهج فيها للهدى متَصرفٌ ... موارد فيها للرشاد شرائع
ظواهرها حكم ومستبطناتها ... لما حكّم التفريقُ فيه جوامع

---

(1) شرف الدين ابن المستوفي، أبو البركات بن أبي الفتح احمد بن المبارك بن موهوب بن غنيمة بن غالب اللخمي، الملقب شرف الدين، المعروف بابن المستوفي الاربلي، كان رئيسا جليل القدر كثير التواضع واسع الكرم، وكان ماهرا في فنون الأدب من النحو واللغة والعروض والقوافي وعلم البيان وأشعار العرب وأخبارها وأيامها ووقائعها وأمثالها، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص147

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4 / ص152

(3) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن حنتم بن حسن الأزدي إمام عصره في اللغة والآداب والشعر الفائق، ومن جيد شعره قصيدته المشهورة بالمقصورة، توفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ببغداد، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص323

(4) سالم، عمر، ديوان ابن دريد، تونس، ط1، 1973م، ص70

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص168

إذا المُعْضِلات المشكلات تشابهت   سما منه نور في دجاهن لامع

ورثى الأديب أبو المظفر محمد الأبيوردي الشاعر المشهور الإمام الغزالي، فيقول:

مضى وأعظم مفقودٍ فجعتُ به   من لا نظير له في الناس ويخلفه[1]

ورثى الإمام إسماعيل الحاكمي بعد وفاة الإمام الغزالي بأبيات منها:

عجبتُ لصبري بعده وهو ميت   وكنت امرءاً أبكي دماً وهو غائب

على أنها الأيام قد صرن كلها   عجائب حتى ليس فيها عجائب

وعندما توفي أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي الجبائي المتكلم المعتزلي، وفي نفس اليوم

توفي ابن دريد، فقال الناس: اليوم مات علم اللغة والكلام، ويقال إنه عاش ثلاثا وتسعين سنة لا غير، ورثاه جحظة البرمكي[2] بقوله:

فقدت بابن دريد كل فائدةٍ   لما غدا ثالثَ الأحجار والتربِ

وكنت أبكي لفقد الجود منفرداً   فصرتُ أبكي لفقد الجود والأدبِ[3]

وفي رثاء الأبناء يرثي العتبي[4] أولاده فيقول:

أضحت بخدي للدموع رسوم   أسفاً عليك وفي الفؤاد كُلُوم

والصبر يحمد في المواطِن كُلها   إلا عليك فإنه مذْموم[5]

وعندما رجع أبو بكر الخوارزمي[6] من الشام سكن نيسابور ومات بها في منتصف شهر

رمضان سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة، فعمل الصاحب ابن عباد فيه رثاءً فقال:

أقول لركبٍ من خراسان قافلٍ   أمات خوارزميكم؟ قيل لي: نعم[7]

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص.219

(2) جحظة البرمكي، أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك النديم، كان صاحب فنون وأخبار وله أشعار رائقة، توفي سنة ست وعشرين وثلاث مائة، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص133.

(3) توما، جان عبدا ، ديوان جحظة البرمكي، دار صادر، بيروت، ط1، 1996م، ص49.

(4) العتبي، محمد بن عبيدا بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة القرشي الأموي المعروف بالعتبي، الشاعر البصري المشهور، فكان أديباً فاضلا شاعرا مجيدا، وكان يروي الأخبار وأيام العرب، توفي سنة ثمان وعشرين ومائتين، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص399.

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص399.

(6) أبو بكر الخوارزمي، محمد بن العباس الخوارزمي الشاعر المشهور، ويقال له " الطبرخزي " أيضاً لأن أباه من خوارزم وأمه من طبرستان، فركب له من الاسمين نسبة، توفي سنة ثلاث وثمانين ثلاثمائة، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص400.

(7) مصطفى، أحمد أمين، أبو بكر الخوارزمي، حياته وأدبه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1985م، ص97.

فقات: اكتبوا بالجص من فوق قبره ألا لعن الرحمن من كفَر النعم[1]

ومن الشعراء الذين رثوا آباءهم ابن حيوس[2] فقد ذكر ابن خلكان أنه عندما مات أبوه وتولى الأمر من بعده، فقال:

صبرنا على حكم الزمان الذي سطا على أنه لولاك لم يكن الصبر
غزانا ببؤسى لا يماثلها الأسى تقارن نُعمى لا يقوم بها الشكر
تباعدت عنكم حرفة لا زهادة وسرت إليكم حين مسني الضر
فلاقيتُ ظل الأمن ماعنه حاجز يصد، وباب العز ما دونه ستر

ومنها أيضًاً:

وأنجز لي رب السموات وعده الـ ـكريم بأن العسر يتبعه اليسر
فجاد ابن نصر لي بألف تصرمت وإني عليم أن سيخلفها نصر[3]

ومن شعر ابن الزيات[4] يرثي جاريته في كتاب " البارع "، وقد خلفت له ابن ثماني سنين، وكان يبكي عليها فيتألم بسببه، فيقول:

ألا من رأى الطفل المفارق أمه بعيد الكرى عيناه تنسكبان
رأى كل أم وابنها غير أمه يبيتان تحت الليل ينتجيان
فهبني أطلت الصبر عنها لأنني جليد، فمن للصبر بابن ثمان ؟

ويقول الزمخشري[5] يرثي شيخه أبا مضر منصور فيقول:

وقائلة: ما هذه الدرر التي تساقط من عينيك سمطين سمطين ؟

---

(1) الجنان، مأمون بن محي الدين، أبو بكر الخوارزمي بين نثره وشعره، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م، ص43.

(2) ابن حيوس، أبو الفتيان محمد سلطان بن محمد بن حيوس بن محمد بن المرتضى بن محمد بن الهيثم الغنوي الملقب مصطفى الدولة الشاعر المشهور ، كان يدعى بالأمير لان أباه كان من أمراء العرب ، وهو احد الشعراء الشاميين ومن فحولهم المجيدين ،

توفي سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة ، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص438

(3) مردم بك، خليل، ديوان ابن حيوس، دار صادر، بيروت،ط1، 1984م، ج1، ص248

(4) الوزير ابن الزيات، أبو جعفر محمد بن عبدالملك بن ابن بن حمزة، المعروف بابن الزيات، وزير المعتصم، كان جده أبان رجلا من أهل جبل من قرية كان يقال لها الدسكرة يجلب الزيت من مواضعه من بغداد، وكان من أهل الأدب الظاهر والفضل الباهر، وكان أديبا فاضل بليغا عالما بالنحو واللغة، توفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج5/ ص94

(5) الزمخشري، صاحب الكشاف، أبو القاسم محمود بن عمرو بن محمد بن عمر الخوارزمي ، الزمخشري، الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان، كان إمام عصره، توفي ليلة عرفة سنة 538ه، عبد الرحمن، معجم الشعراء العباسيين ص194

3.1.2 الغزل:

لقد شاع الغزل في هذا العصر، إذ كان الشعراء يختلفـون إلـى دور القيـان والطرب لمغازلة الجواري والإماء، وصنعوا أجمل الأشـعار فـي تَغَـزلِهم، كمـا واستطاعوا أن يثْبِتُوا في هذا الغزل كثيراً من خطرات الحب ودقائقه البديعـة، ومـن سمات هذا الغزل الرقة

والسهولة، واختيار البحور القصيرة والقوافي العذبة، وكان الغزل على لونين: الغزل بالمذكر، وهو التشبيب بالغلمان والغلاميات، وهذا الغزل يتعارض مع طبيعة الغـزل الحقيقية، والغزل بالمؤنث، وهو التغزل بجمال النساء والمعشوقات وحسن أصواتهن، وهناك شعراء احتل الغزل المرتبة العليا من أشعارهم، ويأتي هذا الغرض في المرتبة الرابعة من بين الأغراض الشعرية في هذا الفصل من حيث الكم.

ومن أشهر الشعراء الذين تغزلوا بالجواري أبو العتاهية، فقد اشتهر بمحبة عتبة جارية الإمام المهدي، ويكثر نسيبه فيها فمن ذلك قوله:

أعلمتُ عتبةُ أنني منها على شرفٍ مطِل

قالت: فأي الناس يعـ ـــلم ما تقول: ؟ فقلت: كل[1]

وكتب إلى المهدي وطلبها منه:

نفسي بشيء من الدنيا معلقةٌ أ والقائم المهدي يكفيها

إني لأيأس منها ثم يطمعني فيها احتقارك للدنيا وما فيها[2]

وكان للصابئ صاحب الرسائل[3] عبد أسود اسمه يمن، وكان يهواه، وله فيه معانٍ بديعة، فيقول:

قد قال يمن وهو أسود للذي ببياضه استعلى علُو الخاتن

ما فخر وجهك بالبياض؟ وهل ترى أن قد أفَدت به مزيد محاسن ؟[4]

ويقول ابن الرومي في جاريته السوداء:

لك وجه كأن يمناي خطّتـ ـــه بلفظ تُمله آمالي

(1) المعتز، عبدا بن محمد ، طبقات الشعراء، دار المعارف، القاهرة، ط4،2002م، ص88.

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج1/ ص220

(3) الصابئ صاحب الرسائل، أبو إسحاق إبراهيم بن زهرون بن حيون الحراني الصابئ، توفي سنة أربع ثمانين وأربعمائة المصدر نفسه :

ابن خلكان، وفيات الأعيان ج1/ ص52

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج1/ ص53

فيه معنًى من البدور ولكن نفضت صبغها عليه الليالي

لم يشِنْك السواد بل زدت حسناً إنما يلبس السواد الموالي

فما لي أفديك إن لم تكن لي وبروحي أفديك إن كنت مالي[1]

ولأبي تمام الطائي في كتاب " الحماسة " باب النسيب:

ونُبئْتُ ليلى أرسلتْ بشفاعةٍ إلي، فهلا نفس ليلى شفيعها

أأكرم من ليلى علي فتبتغي به الجاه أم كنتُ امرءاً لا أطيعها[2]

ومن الأشعار الجيدة لابن فارس[3]:

مرتْ بنا هيفاء مجدولةٌ تركيةٌ تنمى لتركي

ترنو بطرفٍ فاترٍ فاتنٍ أضعفَ من حجةِ نحوي[4]

ومن حكايات أبي العتاهية أيضاً مع عتبة جارية المهدي التي تغزل بها فيقول:

يا إخوتي إن الهوى قاتلي فيسروا الأكفان من عاجل

ويقول فيها أيضا:

عيني على عتبةَ منْهلةٌ بدمعها المنسكب السائل

يا من رأى قبلي قتيلا بكى من شدةِ الوجد على القاتل

بسطتُ كفي نحوكم سائلا ماذا تردون على السائل

إن لم تُنيلوه، فقولوا له قَولاً جميلا بدلَ النائل

أو كنتم العام على عسرةٍ منه فَمنوه إلى القابِل[5]

وقال ابن وكيع التنيسي[6] متغزلاً:

سلا حبك القلب المشوق فما يصبو إليك ولا يتُوقُ

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج1/ ص53

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج1/ ص47

(3) ابن فارس، أبو الحسين احمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي، كان إماما في علوم شتى، وخصوصاً في اللغة فقد أتقنها، ومن مصنفاته " المجمل " ، توفي سنة تسعين وثلاثمائة، ابن خلكان، وفيات الأعيان :ج118/1

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج1/ ص119

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج1/ ص223

(6) ابن وكيع التنيسي، أبو محمد الحسن بن علي بن احمد بن محمد الضبي المعروف بابن وكيع التنيسي الشاعر المشهور، أصله من بغداد ومولده بتنيس، توفي سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة بمدينة تِنيس، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج2/ ص104

جفاؤك كان عنك لنا عزاءً　　　وقد يسلي عن الولد العقوق،[1]

وله أيضاً:

إن كان قد بعد اللقاء فَودنا　　　دانٍ، ونحن على النوى أحباب

كم قاطع للوصل يؤْمن وده　　　ومواصِلٍ بوداده يرتاب

وله أيضاً:

لقد شَمِت بقلبي　　　لا فرج ا عنه

ولقد ألم به بعضهم فقال:

ما وفتْ غير ساعةٍ ثم عادتْ　　　مثل قلبي تقول لا بد منْه[2]

ويقول أسامة بن منقذ[3]:

لا تستعِر جلداً على هجرانهم　　　فقُواك تضعفُ عن صدود دائمِ

واعلم بأن قد رجعتَ إليهم　　　طوعاً، وإلا عدتَ عودةَ راغمِ[4]

ولابن وكيع أيضاً:

أبصره عاذلي عليه　　　ولم يكن قبل ذا رآه

فظل من حيث ليس يدري　　　يأمر بالحب من نهاه[5]

وقد أنشد الفقيه شهاب الدين محمد ولد الشيخ تقي الدين عبد المنعم المعروف بالخيمي لنفسه، فيقول:

لو رأى وجه حبيبي عاذلي　　　لتَفاصلنا على وجهٍ جميل[6]

ومن شعراء الغزل أيضاً الخليع[7] الشاعر.

---

(1) التنيسي، ابن وكيع، المنصف للسارق والمسروق منه في إظهار سرقات المتنبي، تحقيق محمد يوسف نجم، بيروت، ط1، 1984م، ص21

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج2/ ص105

(3) أسامة بن منقذ: الأمير الكبير، فارس الشام، ولد بشَيزر سنة 488ه،روى عنه ابن عساكر وابن السمعاني، عاش سبعاً وتسعين سنةً، مات بدمشق 584ه، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج21 / ص165

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان :ج2/ ص105

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان :ج2/ ص106

(6) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج2/ ص106

(7) الخليع الشاعر، أبو علي الحسين بن الضحاك بن ياسر الشاعر البصري يلقب بالخليع، ونادرا بالأشقر،من خراسان، مولى لبني باهلة، نشأ بالبصرة ، تعلم مع أبي نواس، ثم تبع أبا نواس إلى بغداد، توفي سنة 250هـ، عبد الرحمن، معجم الشعراء العباسيين، ص159

وذات مرة حج الحسين بن الضحاك فمر على موضع يسمى القريتين، وإذا بالجارية كأنها القمر في ليلة لم تطلع من ثيابها وتنظر إلى حرها ثم تضربه بيدها وهي تقول: ما أضيعني وأضيعك، فأنشأ الحسين يقول في الجارية:

مررت بالقريتين مصرفاً من حيث يقضي ذوالهوى النسكا
إذا فتاة كأنها قمر للتم لما توسط الفلكا
واضعة كفها على حرها تقول وا ضيعتي وضيعتكا[1]

قال: فلما سمعت قوله ضحكت وغطت وجهها وقالت: وافضيحتاه وقد سمعت ما قلت!!

ومن شعراء هذا العصر دِعبِل[2]، ومن شعره في الغزل:

لا تعجبي يا سلم من رجلٍ ضحك المشيب برأسه فَبكى
يا ليت شعري كيف نومكما يا صاحبي إذا دمي سفِكا

وأنشد بهاء الدين زهير، الملقب بهاء الدين الكاتب:

كيف خلاصي من هوى مازج روحي واختلط
وتائه أقبض في حبي له وما انبسط
يا بدر إن رمتَ به تشبها رمتَ شطط
ودعه يا غصن النقا ما أنت من ذاك النمط
قام بعذْري وجه عند عذولي وبسط[3]

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج2/ ص167

(2) دِعبِل، بن علي رزين، أبو علي الخزاعي ، كان جده شاعراً ولد في الكوفة سنة 148هـ، وأمضى شبابه في الكوفة، ثم رحل إلى بغداد وأقام بها، وهو تلميذ مسلم ابن الوليد ، كان بذيء اللسان مولعا بالهجو، اتصل بالرشيد ، تقلد مناصب في سمنجان وأسوان، وقد قتل سنة 246هـ، وكان متشيعاً وهجاءً، مدح آل البيت بقصيدة مشهورة، عبد الرحمن، معجم الشعراء العباسيين / ص 170

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج2/ ص335

ومن أولئك الشعراء أيضاً السري الرفاء[1] فقد كان شاعراً عذب الألفاظ مليح المأخذ، كثير الافتنان في التشبيهات والأوصاف، ولم يكن له منظر حسن، ولا يحسن من العلوم غير قول الشعر، ومن شعره في النسيب قوله:

بنفسي من أجود له بنفسي ... ويبخل بالتحية والسلامِ

وحتْفي كامن في مقلتيه ... كُمون الموت في حد الحسامِ

ويقول أبو المعالي الحظيري[2] في المعنى نفسه:

شكوت هوى من شفّ قلبي بعده ... توقد نار ليس يطفى سعيرها

فقال بِعادي عنك أكثر راحةً ... ولولا بِعاد أحرق نورها[3]

ومن التغزل بالجواري، قول الناشئ الأكبر[4] شعراً في جارية مغنية بديعة الجمال ومنه:

فَديتكِ لو أنهم أنصفوك ... لردوا النواظر عن ناظريكِ

تَردين أعيننا عن سِواكِ ... وهلْ تنظر العين إلا إليك

وهم جعلوكِ رقيباً علينا ... فمن ذا يكون رقيباً عليكِ

ألم يقرؤوا ويحهم ما يقرؤون ... من وحي حسنك في وجنتَيكِ[5]

وكان لدى ديك الجن[6] جارية يهواها اسمها دنيا، فاتهمها بغلامه وصيف فقتلها، ثم ندم على ذلك فأكثر من التغزل بها فقال:

يا طلعةً طلع الحِمام عليها ... وجنى لها ثمر الردى بيديها

(1) هو السري بن أحمد الرفاء بن السري الكندي الموصلي، أبو الحسن، شاعر من الموصل اسلم صغيرا، وقد تكسب الشعر، خرج إلى حلب وهو فقير، ومدحه كثيرا، ومدح المهلبي، عبد الرحمن، معجم الشعراء العباسيين / ص 203

(2) أبو المعالي الحظيري، هو سعد بن علي بن القاسم الأنصاري الحظيري، أديباً، وشاعراً، من قرى بغداد، من كتبه: زينة الدهر وهو ذيل للدمية للباخرزي، توفي سنة ثمان وستين وخمسمائة ببغداد، عبد الرحمن، معجم الشعراء العباسيين / ص204

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان :ج2 / ص368

(4) الناشئ الأكبر، هو أبو العباس عبدا بن محمد الأنباري، وكنيته أبو العباس، ويعرف بابن شويشر أو شرشر، ولد بالا نبار، وارتحل إلى مصر عام 280هـ، ومات بها سنة 293هـ، وكان كاتبا أيضا ، بالإضافة إلى شاعريته، وفقيها معتزلياً، وعروضيا ونحوياً، اشتهر بالمدائح النبوية، وصف بالصيد، عبد الرحمن، معجم الشعراء العباسيين / ص 550

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج3/ ص92

(6) ديك الجن الحمصي، هو أبو محمد، عبد السلام بن رغبان، ولد بحمص سنة 161هـ، ولم يفارق الشام طوال حياته، ،له أشعار في المدح والجهاد والمراثي، وصف بأنه شاعر مجيد، كما عد شاعر الشام، مات سنة ست وثلاثين ومائتين، عبد الرحمن، معجم الشعراء العباسيين / ص177

رويتُ من دمها الثّرى ولطالما ... روى الهوى شفَتَي من شفتيها
مكنّتُ سيفي من مجال خِناقها ... ومدامعي تجري على خديها
فوحق نعليها وما وطِئَ الحصى ... شيء أعز علي من نعليها
ما كان قَتْلِيها لأنّي لم أكن ... أبكي إذا سقطَ الغُبار عليها[1]
لكن بخِلتُ على سِواي بحبها ... وأنِفتُ من نظر الغُلامِ إليها[2]

ويقول فيها أيضاً:

جاءت تزور فراشي بعد ما قُبِرت ... فظلْلتُ ألثم نحراً زانه الجيد
وقلتُ قُرةَ عيني قد بعِثْتِ لنا ... فكيف ذا طريقُ القبر مسدود
قالت هناك عِظامي فيه مودعةٌ ... تعيثُ فيها بنات الأرض والدود

وللخالدي أبيات في الغزل منها:

بالسفح من لبنان لي ... قمر منازله القلوب
حملت تحيته الشما ... لُ فردها عني الجنوب
فَرد الصفات غريبها ... والحسن في الدنيا غريب
لم أنس ليلة قال لي ... لما رأى جسدي يذوب
با قل لي من أعلـ ... ـك يا فتى؟ قلت: الطبيب[3]

وله أيضاً:

وقالوا لاح عارضه ... وما ولت ولايته
فقلت عذار من أهوى ... أمارته ولايته

ومن شعره البديع قوله من جملة قصيدة:

هذا الذي سلب العشاق نومهم أما ترى عينَه ملأى من الوسن[4]

(1) مطلوب، أحمد والجبوري، عبدا ، ديوان ديك الجن، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1981م، ص13

(2) المرجع نفسه: ص14

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص 459

(4) المصدر نفسه : ج4 / ص460

وكان يعجب بالبيت التالي وهو:

وأهوى الذي أهوى له البدر ساجداً ألست ترى في وجههِ أثر التربِ[1]

ويقول الأبله الشاعر متغزلاً في قصيدة أنيقة له:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

ويقول أيضاً:

دعني أكابد لوعتي وأعاني أين الطليق من الأسير العاني[2]

آليت[3] لا أدع الملام يغرني من بعد ما أخذ الغرام عناني

أو لا تروض العاذلات وقد أرى روضات حسن في خدود حسان

ولدي يلتمس السلو، ولم أزل حي الصبابة ميتَ السلوان

يا برق إن تجف العقيق فطالما أغنته عنك سحائب الأجفان

هيهات أن أنسى رباك ووقفة فيها أُغير بها على الغيران

ومهفهفٍ ساجي اللحاظ حفظته فأضاعني وأطعته فعصاني[4]

وهذا ابن سناء الملك[5] يتغزل بجارية عمياء فيقول:

شمس بغير الشمس لم تحتجب وفي سوى العينين لم تكسفِ

مغْمدة المرهف لكنها تجرح بالجفن بلا مرهف

رأيت منها الخلد في جؤذر ومقلتي يعقوب في يوسف[6]

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص460

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4 / ص464

(3) آليت: يؤلي إيلاءً، أي حلفَ وأقسم، الجوهري، أبي إسماعيل بن حماد، (ت: 400ه)، تاج اللغة وصحاح العربية، حققه شهاب الدين أبو عمر، دار الفكر، بيروت، ط1، 1998م، ج2 / ص1665.

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص464

(5) ابن سناء الملك، هو هبة ا بن جعفر بن سناء الملك، أبي عبدا محمد بن هبة ا السعدي، أبو القاسم، القاضي السعيد، شاعر من النبلاء، ولد بمصر وتوفي بها طلب في ديوان الإنشاء بمصر، ولاه الملك الكامل ديوان الجيش سنة 606هـ، له دار " الطراز " في عمل الموشحات، وله ديوان شعر، وله منظومة في غزوات الرسول صلى ا عليه وسلم، توفي سنة ثمان وستمائة بالقاهرة، عبد الرحمن، معجم الشعراء العباسيين / ص 218

(6) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج6 / ص63

وله في غلام جميل الصورة حفر حومة التلاق فأصابه حجر فانكسرت أسنانه فقال فيه:

كل سن كالأقحوانة كانت   فغدت بالدماء كالجنازة

كان في حومة التلاق وما كا   ن بعيداً في جملة النظارة

فأتته الأحجار شوقاً وزارتـ   ـه فلا مرحباً بتلك الزيارة

كيف ينسى الفؤاد ثغر حبيب   حسدتني عليه تلك الحجارة[1]

وأنشد يعقوب بن صابر المنجنيقي[2] في جارية سوداء كان يهواها، وهي حبشية:

وجارية من بنات الحبوش   بذات جفون صحاحٍ مِراض

تعشقتها للتصابي فشبتُ   غراماً ولم أك بالشيب راض

وكنت أعيرها بالسواد   فصارت تُعيرني بالبياض

وقال في جارية أخرى:

وجارية عبرتْ للطواف   وعبرتُها حذراً تدمع

فقلتُ ادخلي البيتَ لا تجزعي   ففيه الأمان لمن يجزع

وله نسيب بغلام يتعلم السباحة في دجلة ببغداد، وقد لبس تباناً أزرق وشد على ظهره شكوة منفوخة، فقال في فيه:

جمعت هوىً كهواي إلا أنها   تطفو ويثْقلني الغرام فأغرق

ويغيرني التبان عند عناقه   أردافه فهو العدو الأزرق

وقد روى ابن صابر المنجنيقي البيت الثاني بصورة أخرى فقال:

حملت هوى كهواي فهي بوصلة   تطفو ويبكي الغرام فأغرقُ

ولمهيار الديلمي[3] أبيات منها:

إن التي عِلِقْتَ قلبك حبها راحت بقلب منك غير علُوق

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج 6/ص 63

(2) يعقوب بن صابر المنجنيقي، هو أبو يوسف شاعر، أصله من حران، ولد وتوفي ببغداد وتفوق في صناعة المنجنيق، اشتهر بالشعر، فمدح الخلفاء والوزراء، وجمع شعره في ديوان سماه " مغاني المعاني " كانت له منزلة رفيعة عند الإمام الناصر لدين ا العباسي، أورد له ابن كثير قصيدة من شعره،عبد الرحمن، عبد الرحمن، معجم الشعراء العباسيين / ص594

(3) مهيار الديلمي، هو أبو الحسن، مهيار ابن مرزويه الديلمي، من أولاد أسرة زرادشتية، لقب بمهيار المجوسي، وأسلم على يدي أستاذه الشريف الرضي، توفي سنة 428هـ ـ، عبد الرحمن، معجم الشعراء العباسيين / ص 542

وكان الجاحظ ب "سر من رأى"[1]، وأمر بالغناء، فاندفعت عوادة فغنت:

كل يوم قطيعةٌ وعتاب ينقضي دهرنا ونحن غضاب

ليت شعري أنا خُصِصتُ بهذا دون ذا الخلق أم كذا الأحباب

فسكتت العوادة، وأمر الطنبورية فغنت:

وا رحمتا للعاشقينا ما إن أرى لهم معينا

كم يهجرون و يصرمو ن ويقطَعون فيصبرونا[2]

ويقول ابن الخازن الكاتب[3] في أبيات من قصيدةٍ له:

أيا عالم الأسرار إنك عالم بضعف اصطباري عن مداراةِ خُلقهِ

ففتر غرامي فيه تفتير لحظه وأحسن عزائي فيه تحسين خَلْقه

فحملُ الرواسي دون ما أنا حاملٌ بقلبي المعنى من تكاليفِ عشقه[4]

ومن شعراء هذا العصر أيضاً علي بن هارون المنجم[5] فيقول متغنياً:

بيني وبينك في الهوى أسباب وإلى المحبة ترجع الأنساب

بيني وبين الدهر فيك عتاب سيطول إن لم يمحه الإعتاب

يا غائباً بوصاله وكتابه هل يرتجى من غَيبتَيك إياب

لولا التعلل بالرجا لتقطعت نفس عليك شعارها الأوصاب[6]

(1) سر من رأى: مدينة ببغداد وتكريت، على شرقي دجلة، وفيها لغات منها سر من رأى، بناها المعتصم ونزلها سنة 221ه، الحموي، معجم البلدان، ج3 / ص174

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج3/ ص 471

(3) ابن الخازن الكاتب، هو أحمد بن محمد بن الفضل، بن الخازن، شاعر وكاتب جيد، أصله من الدينور، توفي ببغداد، له ديوان شعر أورد العماد له منه شعراً، توفي سنة ثمن عشرة وخمسمائة،عبد الرحمن، معجم الشعراء العباسيين / ص 148

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج1 / ص 149

(5) علي بن هارون المنجم، أبو الحسن، ذو نسب عريق من ظرفاء الأدباء، وندماء الخلفاء والوزراء، عبد الرحمن، معجم الشعراء العباسيين / ص335

(6) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج3/ ص375

4.1.2 الهجاء:

اتّصف الهجاء في العصر العباسي بالسخرية الشديدة والإيذاء المؤلم، وقد استخدم الشعراء الهجاء لتوليد المعاني واستقصائها، ومن أنواع الهجاء في هذا العصر هجاء فاحشاً ساقطاً، وهجاء يقوم على السب والشتم، وذلك من أجل التشهير والتحقير، والحط من قدر المهجو، والنوع الآخر هجاء ساخر فكه، وقد استخدم الشعراء الهجاء للدفاع عن أنفسهم، فقد تبارى الشعراء في أهاجيهم، فقد ذكروا الهجاء في أشعارهم بكل خُبثٍ، فكان لديهم براعة في الخيال؛ لإبداع الصور المضحكة اللاذعة، ودقة في التصوير تتناول القبح ومظاهره، وقد أسرف بعض الشعراء في الهجاء المقذع، ويأتي هذا الغرض في المرتبة الخامسة من بين الأغراض الشعرية في هذا الفصل من حيث الكم.

ومن هؤلاء الشعراء المتنبي، فقال بعض الشعراء في هجاء المتنبي:

أي فَضلٍ لشاعر يطلب الفَضـ ـلَ من الناس بكرة وعشيا
عاش حينا يبيع في الكوفة الما ء، وحيناً يبيع ماء المحيا[(1)]

وللمهذب في الأسعد اب ن مماتي يهجوه:

وحديثِ الإسلام واهي الحديثِ باسم الثغر عن ضمير خبيث
لو رأى بعض شعره سيبويهِ زاده في علامة التأنيث[(2)]

ومن الشعراء المجيدين دعبل، إلا أنه كان بذيء اللسان مولعاً بالهجاء، والحط من أقدار الناس، فهجا الخلفاء، وطال عمره فكان يقول: " لي خمسون سنة أحمل خشبي

على كتفي، أدور على من يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك، وقد عمل في إبراهيم ابن المهدي أبيات وأولها:

نَعر ابن شكلةَ بالعراق وأهله   فهفها إليه كل أطلس مائق[3]

فدخل إبراهيم على المأمون فشكا إليه حاله، وقال: يا أمير المؤمنين، إن ا سبحانه وتعالى فضلك في نفسك علي وألهمك الرأفة والعفو عني، والنسب واحد، وقد هجاني

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج1/ ص124

(2) المصدر نفسه : ج1/ ص211

(3) المصدر نفسه : ج2/ ص266

دعبل فانتقم لي منه، فقال المأمون: ما قال ؟ لعل قوله:

نعر ابن شكلة بالعراق ....[1]

وأنشد الأبيات، فقال: هذا من بعض هجائه، وقد هجاني بما هو أقبح من هذا، فقال المأمون :لك أسوة بي فقد هجاني واحتملته، وقال في:

أيسومني المأمون خُطّةَ جاهلٍ   أو ما رأى بالأمس رأس محمدِ

إني من القوم الذين سيوفُهم   قتلت أخاك وشرفتك بمقعدِ

شادوا بذكرك بعد طول خُموله   واستنقذوك من الحضيض الأوهدِ[2]

وكان المسدود الشاعر قد هجا الواثق وهو ولي عهد أبيه، وسمي المسدود لجسم سد منخريه فعمل هذه الأبيات:

من المسدود في الأنف   إلى المسدود في العين

فيا طبلا له رأس   ويا طبلاً برأسين[3]

ومما قيل في ذم همذان، فيقول أبو العلاء محمد بن علي بن حسول الهمذاني:

همذان لي بلد أقول بِفَضلِه   لكنه من أقبح البلدان

صِبيانُه في القبح مثلُ شيوخِهِ   وشيوخُه في العقل كالصبيان[4]

وكان أبو العطاء السندي مولى بني أسد قد هجا أبا دلامة بقوله:

ألا أبلغ هديتَ أبا دلامه   فليس من الكرام ولا كرامه

إذا لبس العمامة كان قرداً   وخِنزيراً إذا وضع العمامه[5]

وبعد قتل ديك الجن لغلامه، لأنه اكتشف أن له علاقة بجارية قد هواها فقتل الغلام، صنعت أخت الغلام ذماً في ديك الجن:

يا ويح ديك الجن يا تبأً له　　　　مما تضمن صدره من غدره

قتل الذي يهوى وعمر بعده　　　　يا رب لا تمدد له في عمره[6]

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج2/ ص267

(2) المصدر نفسه : ج2/ ص267

(3) المصدر نفسه : ج2/ ص268

(4) المصدر نفسه : ج1/ ص128

(5)المصدر نفسه : ج2/ ص326

(6) المصدر نفسه : ج3/ ص188

و يتصل معاوية بن سفيان[1] بالحسن بن سهل يؤدب أولاده، فعتب عليه في شيء، فقال يهجوه:

لا تحمدن حسناً بالجود إن مطَرتْ　　　　كفّاه غَزراً ولا تذممه إن زرما

فليس يمنع إبقاءً على نشبٍ　　　　ولا يجود لِفضل الحمد مغتنما

لكنها خطرات من وساوسه　　　　يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما[2]

وقال السلامي، يهجو التلعفري:

سما التلعفري إلى وصالي　　　　ونفس الكلبِ تكبر عن وصاله

ينافي خلقه خلقي وتأبى　　　　فعالي أن تضاف إلى فعاله

فصنعتي النفيسة في لساني　　　　وصنعته الخسيسة في قذاله

فإن أشعر فما هو من رجالي　　　　وإن يصفع فما أنا من رجاله[3]

وفي هجاء بعض الرؤساء، فيقول ابن سكرة[4]:

تهت علينا ولست فينا　　　　ولي عهدٍ ولا خليفه

قِته وزد ما علي جارٍ　　　　يقطع عني ولا وظيفه[5]

والشعر نار بلا دخان　　　　و للقوافي رقًى لطيفه

كم من ثقيل المحل سامٍ　　　　هوتْ به أحرف خفيفه

لوهجي المسك وهو أهل　　　　لكلّ مدحٍ لصار جيفه[6]

ومن الشعراء الذين عرفوا واشتهروا بالهجاء ابن الهبارية[7] فقد قال العماد فيه " من

(1) معاوية بن سفيان، شاعر وراوية بغدادي، أحد غلمان الكسائي، ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4 / ص 403

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص403

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ج4 / ص405

(4) ابن سكره، هو أبو الحسن، محمد بن عبدا بن محمد البغدادي، ويلقب بابن رائطة، من ولد علي احد أبناء الخليفة المهدي، له شعر في المدح والمجون والسخف، ويشبه معاصره ابن الحجاج وصديقه، توفي عام 385هـ ـ، عبد الرحمن، معجم الشعراء العباسيين / ص210

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص412

(6) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص412

(7) ابن الهبارية، هو محمد بن محمد بن صالح العباسي ، نظام الدين، أبو يعلى المعروف بابن الهبارية، شاعر هجاء مولود في بغداد، أقام مدة في أصبهان، وكان فيها ملك شاه ووزيره نظام الملك، واتصل بالوزير، توفي في كرمان، ومن كتبه : الصادح والباغم، وديوان شعر غالبه سخف ومجون كما قال الصفدي، عبد الرحمن، معجم الشعراء العباسيين / ص570

نظام الملك، غلب على شعره الهجاء والهزل والسخف، وسبك قالب ابن الحجاج وسلك أسلوبه، وفاقه في الخلاعة، والنظيفُ من شعره في غاية الحسن" (1)

وكان ابن الهبارية ملازما لنظام الملك وزير السلطان ألب أرسلان، وولده ملك شاه، وكان بين نظام الملك وتاج الملك أبي الغنائم شحناء ومنافسة، كما جرت العادة بمثله من الرؤساء،

فقال أبو الغنائم لابن الهبارية: إن هجوت نظام الملك فلك عندي كذا،وأجزل له الوعد فقال:كيف أهجو شخصاً لا أرى في بيتي إلا من نعمته ؟ فقال: لا بد من هذا ، فعمل هذا الهجاء فيه، فقال:

لا غرو إن ملك ابن إسـ ـحاق وساعده القَدر
وصفَتْ له الدنيا وخُـ ـص أبو الغنائم بالكدر
فالدهر كالدولاب ليـ ـس يدور إلا بالبقر(2)

فلما بلغت هذه الأبيات نظام الملك، قال: وهو يشير إلى المثل السائر بين الناس وهو" أهل طوس بقر" وكان نظام الملك من طوس، ولم يقابله في ذلك، وكانت مكارم وأخلاق نظام الملك معدودة عليه، وكان من إحسان نظام الملك إليه، يقاسي من غلمانه وأتباعه شر

مقاساة لما يعلمونه من بذاءة لسانه، فلما اشتد عليه الحال منهم كتب إلى نظام الملك:

لذ بنظام الحظرتين الرضى   إذا بنو الدهر تحاشوك

واجلُ به عن ناظريك القّذى   إذا لئام القوم أعشوك

واصبر على وحشة غلمانه   لا بد للورد من الشوك(3)

وكان الخالدي من شعراء الشام في هذا العصر، وجرت بينه وبين الشعراء وقائع ومجاريات ونوادر فكتب إلى ابن منير، وقد بلغه أنه هجاه فقال:

ابن منير هجوت مني   حبراً أفاد الورى صوابه

ولم تضيق بذاك صدري   فإن لي أسوة الصحابه(4)

ولابن عنين هجاء في شخص يقال له ابن سيده:

ما أنت إلا كالعقاب فأمه   معروفة وله أب مجهول

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص453

(2) حموية، محمد، شعر ابن الهبارية، تحقيق محمد فائز سنكري طرابشي، دمشق، ط1 1997م، ص45

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص454

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص459

الفصل الثالث

الدراسة الفنية

1.3 اللغة والأسلوب :

تعد اللغة من العناصر المهمة في بناء القصيدة العربية منذ القدم، فهي الوسيلة التي من خلالها يكون الشاعر شعره، ليعبر عما يجول في خاطره من مشاعر وأحاسيس ضمن تجربته الشعرية، فينتج لنا صورا بديعة وأخيلة رائعة، وقصائد رائقة.

والدارس للشعر العباسي في " وفيات الأعيان " يجد أن الشعراء العباسيين لديهم ذخيرة لغوية هائلة، مليئة بالألفاظ والمفردات التي يعبرون بها عن واقعهم الذي يعيشون فيه، فطبيعة

الألفاظ تبين للدارس صورة الحياة التي يعيشها الشاعر.

ويتفاوت استعمال اللغة من شاعر إلى آخر، وهذا عائد إلى نوع الغرض الشعري في القصيدة العباسية، فألفاظ الغزل تختلف عن ألفاظ الهجاء، وألفاظ المدح تختلف عن ألفاظ الرثاء، وكذلك الأمر في باقي الأغراض الشعرية، وكما يرى ابن الأثير أن الألفاظ تنقسم

إلى قسمين جزلة ورقيقة، ولكل منها موضع يحسن الاستعمال فيه.[1]

وقد وصف ابن رشيق شعراء عصره بقوله: " والكتاب أرق الناس في الشعر طبعا وأبعدهم عن التكلف "[2]، ويبدو التأثُر بالقدماء واضحاً وذلك من حيث مقدمات القصائد، والأساليب التي

استخدموها في أشعارهم، فجزالة الألفاظ واضحة، فألفاظ الغزل رقيقة وعذبة وسهلة وواضحة.

فإذا نظرنا إلى لغة الشعر وجدنا أنها تطورت بشكل كبير، وقد انقسم الشعراء في العصر العباسي إلى قسمين، القسم الأول يهتم بتقليد القدماء ومحاكاتهم وتمثيلهم، وإتباع سنتهم ومناهجهم في اللفظ والتركيب والصورة الشعرية.[3]

ولذلك أثّر هذا التغير والتطور في نفوس الشعراء فذهبوا يعبرون عن ذاتهم بلغة مستمدة مما يحسونه ويشاهدونه، وهي لغة اعتمدت على تهذيب اللغة القديمة من الألفاظ الغريبة.[4]

وهذا علي بن الجهم عندما قدم إلى المتوكل وأنشده يمدحه بقصيدته التي يقول فيها:

أنت كالكلب في حفاظك للود وكالتيس في قراع الخُطُوب

---

(1) ابن الأثير، المثل السائر، ط1، ج1، ص240

(2) ابن رشيق ،أبو علي الحسن القيرواني، العمدة في محاسن الشعر ونقده، دار الهلال، القاهرة، ط1، 1996م، ج1، ص128.

(3) خليف، يوسف، حياة الشعر في الكوفة، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة،ط1، 1968م، ص691.

(4)المرجع نفسه : ص692.

أنت كالدلو لا عدمناك دلواً من كبار الدلاء كثير الذنوب[1]

فقد فهم الخليفة المتوكل رقة مقصده وخشونة لفظه، وعرف أنه ما رأى سوى ما شبهه وذلك لملازمته البادية، فأمر له بدار على شاطئ دجلة فيها بستان حسن يتخلله نسيم لطيف يغذي الأرواح، والجسر قريب منه، وأمر له بالغذاء اللطيف، يخرج إلى سوق بغداد فيرى حركة الناس

ولطافة الحضر ويرجع إلى بيته، فأقام ستة أشهر على ذلك، وبعد ذلك استدعاه الخليفة بعد مدة لينشده، فقال:

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

أعدن لي الشوق القديم ولم أكن سلوتُ ولكن زدن جمراً على جمر[2]

فهذا مثال على تأثير البيئة على الأدب والأديب، وقد أثرت البيئة على الأدب قبل الشعر العباسي،

ففي الشعر الجاهلي نجد أن للبيئة أثراً كبيراً على شعر الشعراء، فكلٌ ابن بيئته.

وعندما كان الشعراء ينظمون شعرهم فكانت لغتهم تميل كل الميل إلى المزاوجة اللغوية بين القديم والحديث، فقد استمدوا ألفاظهم من القديم مع نوع من التهذيب والتنقيح، فقد كانوا يستمدون صورهم القديمة بأساليب حديثة.

إذن يتبين لنا مما سبق أن فهم الشعر من جانب لغته له طريقان : إما أن يفهم بلغة بسيطة وسلسة وقريبة من الأذهان، أو يفهم بألفاظ لغوية معقدة وحوشيه تذهب بقارئ الشعر إلى موضع الغرابة، تجعله يفكر طويلا ويتروى إلى فهم هذه العبارات، وعندما يفهم هذه الألفاظ يتضح له جمالية الشعر بغرابة ألفاظه, مثلما كان يفعل بعض الشعراء، فكانوا يتروون في فهم ألفاظ شعر نظرائهم، وبهذه الطريقة تبدأ الخبرة لدى الشعراء بفهم الألفاظ الغريبة بكل سهولة، وهذا يعود إلى التجربة الشعرية الطويلة لديهم، مع سرعة ذيوع هذه الألفاظ بين الناس بسهولة ويسر.

والناظر في الشعر العباسي في وفيات الأعيان يجد أن البيئة لها دور مهم في تنشئة الشاعر، فطبيعة التطور الذي حدث في هذا الزمن (العصر العباسي) يوجب التطور من الناحية اللغوية في الشعر، والشعر العباسي يتميز بسهولة ألفاظه، وهذا لا يعني فقدان جماليته الشعرية وتأثيره في نفوس الناس، والشعراء في هذا العصر لم يهملوا الألفاظ القديمة بل أدخلوها في أشعارهم، ولكن بأساليب تناسب عصرهم المتطور، وهذا يعني أنهم استعانوا بالقديم ليحيوا به أشعارهم .

---

(1) ابن الجهم، أبو الحسن، ديوان علي بن الجهم، تحقيق خليل مردم بك، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1959م، ص711

(2) المرجع نفسه، ص143

واللغة عنصر من عناصر التجربة الشعرية، فهي وسيلة الشاعر لنقل التجربة وإعدادها للمتلقي، ولم يغفل النقاد أهمية اللغة، بل اهتموا بها اهتماماً كثيراً، وقد دعا ابن قتيبة إلى الإبعاد عن استعمال وحشي الكلام، والبعد عن استعمال لغات قليلة الاستعمال عند العرب، بل دعا إلى استعمال الأسهل في الألفاظ والبعيدة عن التعقيد.[1]

ورأى ابن رشيق أن للشعر ألفاظا شائعة ومعروفة بين الناس لا يجوز للشاعر أن يعدوها، ولا أن يستعمل غيرها[2]، ويتفاوت استعمال اللغة من شاعر إلى شاعر كما أن الأغراض الشعرية تتباين في أساليبها ولغتها، فألفاظ الغزل تختلف عن ألفاظ المديح، وألفاظ الرثاء غير ألفاظ الهجاء، حتى أن الألفاظ تتباين أحيانا في الغرض الشعري الواحد، ويقول ابن جني في موضوع اللغة:" فأول ذلك كنايتها بألفاظها فإنها لما كانت عنوان معانيها وطريقها:

لإظهار أغراضها ومراميها أصلحوها ورتبوها وبالغوا في تجبيرها، وتحسينها ليكون ذلك أوقع لها في السمع وأذهب في الدلالة على القصد" (3)

ومن سمات اللغة العربية التطور، لأنها تواكب عوامل التطور والنماء، فهناك ألفاظ انقرضت

وأخرى ظلت محتفظة بدلالتها القديمة، ولكل عصر لغته الخاصة به، فلغة الشعر الجاهلي تختلف عن لغة شعر المحدثين، والتطور الذي أصاب الحياة العباسية إنما هو نتيجة التطور الذي حدث في المجتمع والحياة العباسية بمختلف جوانبها، وبما أن الشعراء يعدون مرآة عصرهم، فما كان عليهم إلا أن تكون لغة قصائدهم هي لغة الحياة اليومية المعاشة.(4)

والقارئ للشعر العباسي يجد أن بعض الشعراء تعمدوا محاكاة الأساليب الشعرية القديمة، وذلك من حيث المواءمة بين أغراض الشعر وأساليبه الفنية، فجاءت موضوعاتهم منسجمة مع موضوعات الشعر، وهذا ما نجده عند الحسين بن الضحاك الذي مشى على منوال الشعراء

الأقدمين، فذكر في مقدمة قصيدته الوقوف على الأطلال، ومناجاة الديار، فيقول:

أفي كُلِّ يوم تُطيل الوقوف　　　تناجي الديار و تبكي الدمن

وتَستخبر الدار عن أهلها　　　وتذري الدموع على من ظعن(5)

---

(1) ابن قتيبة، عبدا بن مسلم، الشعر والشعراء،دار الثقافة، بيروت، ط1964،1م، ص102،ص104

(2) ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر، ج1، ص128

(3) أبو الفتح، ابن جني، الخصائص، بيروت ط3، 2001م،ج1، ص34.

(4) صلاح، عبدا مصلحي علي، التقليد والتجديد في الشعر العباسي، دار المعرفة الجامعية، ط1، ص202

(5) علي بن الحسين بن علي، المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الأندلس، بيروت،1983م، ج4/ ص76

إذن فالشعراء استعانوا بألفاظ القدماء فاللفظ سهل وموح، وقد صنع الشعراء في شعر الحرب والحماسة الألفاظ الجزلة، و التعابير القوية، وفخامة التصوير، فجاءت لغتهم ملائمة مع الموضوع في هذا الغرض، وهذا ما سنجده في شعر أبي دلف القاسم عيسى العجلي المذكور ترجمته في الفصل السابق، فيقول في وصف الحرب:

فسل السيوف وشَق الصفوفِ　　　ونقض الترابِ وضرب القُللْ

ولبس العجاجةِ و الخافِقاتِ　　　تُريك المنايا برؤس الأسلْ

و قد كشفت عن شبا نابها　　　عروس المنية بين الشعلْ

خَروس نطُوقٌ إذا استنطقت جهولٌ يطيشُ على من جهلْ

إذا خُطِبتْ أخذت مهرها رؤوساً تساقطُ بين القُلَلْ[1]

ومن الشعراء الذين استخدموا اللغة العامية عبدا بن الحسين، إذ يقول:

أخذت جعفر برأس القطار ثم قال: آذنتكم بالبوار

فأجابت أمُّ الأمير، وقالت: قد أتيناك أول الزوار

وسيأتيك صاعد عن قريبٍ كُتُبهِ للبلاء في الاستطار[2]

فالشعراء فيما تقدم آثروا البساطة والسهولة في اختيار ألفاظهم؛ وذلك لمجاراة انفعالاتهم وعواطفهم الجياشة، مما كان لها الأثر الكبير على نتاجهم الشعري.

واختلفت عقلية الشاعر العباسي عن عقلية الشاهر الجاهلي فانعكس ذلك على لغة شعره، مع الاحتفاظ بالمفردات القديمة التي سعت إلى توليد معانٍ جديدة كونت الشعر العباسي مما جعلت الشعراء يبدعون من خلالها .

لقد كان هنالك اهتمام بارز في اللغة العربية، وأصبح الشعر يعبر عن حاجة لغوية، وأصبحت حاجة ملحة لدى الشعراء، يبحثون عن خدمة اللغة لإنتاج شعر جديد.

ولذلك انطلقت بوادر الشعراء لتوليد المفردات القديمة لتواكب تغير وتطور الحياة، ولكن بالرغم من بحث الشعراء عن مفردات جديدة فقد كانوا ولا يزالون محافظين على التيار القديم، بسبب قوة هذه الألفاظ وجزالتها.

فالشعراء فيما تقدم آثروا البساطة والسهولة في اختيار ألفاظهم؛ وذلك لمجارات انفعالاتهم الجياشة، مما كان لها الأثر الكبير على نتاجهم الشعري.

---

(1) السامرائي، يونس أحمد، شعراء عباسيون، عالم الكتب، بيروت، ط1986،1م, ص8 - ص139

(2) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج4/ ص209

1.1.3 الصورة الشعرية:

2.1.3 معنى الصورة :

تستعمل كلمة الصورة للدلالة على كل شيء له علاقة بالتعبير والشعور، وهي وسيلة الشاعر والأديب في نقل فكرته، وبالتالي فيقاس على نجاح الصورة في تأدية مهمتها، ويبدأ الفنان بإخراج ما بداخله من تصورات دقيقة وخيالية خالية من التعقيد[1]، وهذا يدل على صلة اتحاد الذات المعبرة والموضوع المعبر عنه، فيعبر الشاعر عن أحاسيسه وموضوعه بكل سهولة ويسر.

والشاعر في شعره يجعل من الطبيعة ذاتاً له، ليبرز مقدرته الشعرية، ومدى تمكنه من الصنعة الشعرية، والشعر كله قائم على الصورة منذ أن وجد، ولكن استخدام الصورة يختلف من شاعر إلى آخر، فالصور في الشعر والنثر لها أهميتها الكبرى، ولكنها في الشعر أكثر التصاقاً، والمعاني لها علاقة بقوة التعبير عن الصورة الشعرية، فهناك ألفاظ تدل على ضعف شاعريتها عند قراءتها من أول مرة.(2)

وما ينتجه المبدع من الصور الفنية هو ناتج عن رؤيته وموقفه، وبالنسبة للألفاظ، فهناك ألفاظ تبدو غير شاعرية من الوهلة الأولى، أو يكون الموضوع ذا قيمة قليلة، ولكن الشاعر قد يضفي من شعوره وتصويره وخياله القوي الذي يستطيع أن ينفذ به إلى معنى قوي.(3)

فالملكة الشعرية لدى الشاعر تمكنه من نقل المشاهد اليومية لدى عالم الشعر، وكثير من الأشياء المألوفة تناولها الشعراء فصوروها بأقلامهم تصويراً يجعلنا نحس بجدة هذه الأشياء، كلما قرأنا صورهم، وكل هذه الأشياء المعروفة نعرفها لأول مرة، وأكثر الصور الشعرية هي تلك الصور التي تمتع أذهان الناس عندما يقرؤونها.

فالصورة إذن هي مجال الحكم على الشاعر، فالمعاني عامة لدى جميع الناس، ومنهم الشعراء، ولكن العبرة في مدى قدرة الشاعر على صياغة هذه المعاني، وقدرته على التصوير، والذي يدل على جودة الصورة هي مكونات الصورة لدى الشاعر، والشعر هو تذوق وإحساس لا جدال فيه، فالعمل الفني ليس من واجبه أن يثبت شيئاً معيناً، بل إنه يوصل مشاعر صادقة لدى الشاعر.(4)

---

(1) صالح نافع، عبد الفتاح، الصورة في شعر بشار بن برد، دار الفكر، ط1، 1983م، ص51.

(2) إسماعيل، عز الدين، الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1955،1م، ص214.

(3) غنيمي، هلال، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة العربية، القاهرة، ط1، 1969م، ص338.

(4) صالح نافع، عبد الفتاح، الصورة في شعر بشار بن برد، دار الفكر، ط1، 1983م، ص55.

3.1.3 الصورة الشعرية عند القدماء:

لا شك أن الصورة موجودة منذ القِدم، فالشعر قائم على الصورة منذ أن وجد، ولكن استخدام الصورة، يختلف من شاعر إلى شاعر، ومن النصوص التي وردت تتحدث عن الصورة قول الجاحظ " والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج، وكثرة الماء وصحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير" (1)

فقد عد الجاحظ الشعر بأنه صناعة من الصناعات، فلها مادتها وهي المعاني والألفاظ، وبعدها يأتي كل من الأجناس الذكورة فيختارون المعاني والمفردات، ولكن الحكم في النهاية في كيفية صياغة الصور الفنية، وإظهارها على الوجه الجمالي المطلوب.

ويبين قدامة بن جعفر أن اللفظ والوزن والمعنى والقافية أهم العناصر التي يتكون منها الشعر، فكل شاعر في مخيلته صور معينه، وإن أراد أن يعبر عن هذه الصور فيستدعي الألفاظ ليكون شكلا كاملا للصور الموجودة لديه؛ ليخرجها على النحو الملائم، وفي ذلك: " إن المعاني كلها معرضة للشاعر، وله أن يتكلم منها فيما أحب وآثر من غير أن يحظر عليه معنى يروم الكلام فيه، إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة، والشعر فيه كالصورة، كما يوجد في كل صناعة من انه لا بدد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصورة منها، مثل الخشب للنجارة، والفضة للصياغة " (2)

فيتضح من قول قدامة انه يتضامن مع رأي الجاحظ، ويذهب عبد القادر الجرجاني إلى أن حسن الكلام إنما يكون بحسن الصورة فيقول: " متى حسنت الصورة الأدبية باستكمال حسن النظم، وحسن الألفاظ في مواقعها، فقد حسن الكلام" (3)، فقد اهتم عبد القادر بالصورة كثيراً.

وهكذا نرى أن النقد القديم قد اقترب من الصورة، فقد تعني الإطار الخارجي أو القالب الذي توضع فيه المعاني والألفاظ، فقد تكون الصورة في الشكل وقد تكون في المضمون، او تكون في الأشكال البلاغية من استعارة أو تمثيل أو تشبيه وكنايه وغيرها.

والعرب قد وضعوا مقاييس للحكم على الشاعر، منها شرف المعنى وصحته وجزالة اللفظ وقوته، ووضوح الأجناس الأدبية في أشعارهم.

---

(1) الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، ط3 ، 1969م، ج3، ص131.

(2) ابن جعفر، قدامة، نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، القاهرة، ط3، 1978م، ص133.

(3) الجرجاني، عبد القادر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد عبده، مكتبة القاهرة، 1961م، ص168.

4.1.3 الصورة الشعرية عند المحدثين:

تأثر النقاد العرب المحدثون بمفهوم الصورة عند الغرب، واختلفت نظرتهم لهذا المفهوم حسب مصادر معرفتهم وثقافتهم، وجاءت آراؤهم وأحكامهم ومواقفهم مطابقة للمناهج والآراء التي اطلعوا عليها.

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن مصطلح الصورة من المصطلحات الغربية التي ليس لها جذور في النقد العربي، ويدخل في تحديد طبيعة الصورة عدة عوامل كالتجربة

والشعور والفكر والمجاز والإدراك الحسي والتشابه.[1]

لقد تعددت هذه المفاهيم للصورة وتناقضت أحيانا واختلفت باختلاف أصحابها واجتهاداتهم المستمدة في الغالب من الغرب، وبالرغم من التباين الشديد الذي يبدو للوهلة الأولى في تعريف الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث.[2]

ولعل أهم ظاهرة يختلف فيها الشعر الحديث عن الشعر القديم هي ظاهرة الرمز، فقد اتجه الشعر الحديث إلى الرمز وحمله من المعاني الشيء الكثير، واختلطت الصورة بالرمز اختلاطاً كبيراً.[3]

ومن الذين تحدثوا عن الصورة زكي مبارك، فعرفها: " أثر الشاعر المفلق الذي يصف المرئيات وصفاً يجعل قارئ شعره ما يدري أيقرأ قصيدة مسطورة، أم يشاهد منظراً من مناظر الوجود، والذي يصف الوجدانيات وصفاً يخيل للقارئ أنه يناجي نفسه ويحاور ضميره، لا أنه يقرأ قطعة مختارة لشاعر مجيد" [4]

فقد وضع زكي مبارك الشاعر في حالة من الدهشة، عند تصويره مجموعة من السطور جميلة التصوير، ويعدل عن هذا الإحساس إلى شعور آخر يحس من خلاله انه يرى منظراً ماثلاً أمام عينيه يرى فيه الجمال والحسن وكذلك الأمور الوجدانية الكامنة في النفس.

ومن هذا المنطلق نلاحظ أهمية الصورة الفنية ودورها في بناء الأعمال الأدبية ، وخاصة في الجانب الشعري، فألفاظ الشاعر ومعانيه وخياله تعمل في جلب الصور الشعرية ذات الطابع الفني الجميل.

---

(1) علي ذياب، محمد، الصورة الفنية في شعر الشماخ، ط1، 2003م، ص18

(2) المرجع نفسه: ص25

(3) صالح نافع، عبدالفتاح، الصورة في شعر بشاربن برد، دار الفكر، ط1، 1983م، ص95

(4) مبارك، زكي، الموازنة بين الشعراء، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993م، ص63.

فتحدث الشاعر في البيت الثاني على الصورة الأدبية الواردة، حيث في البيت شبه صورة الأرض والسماء بصورة شيء يعقِد شيئاً آخر، وشبه صورة ولاية بصورة الرمح الذي أرض بسدول عرف على عقد اللواء، وعقْد لواء الراية التي ربطت على تلك السدول، وكما

بالغ في التصوير الفني لتلك الصورة التي بدت منها النيران في البيت السابع، ولا تبدو

دون أن يشعل مدحه لتلك النيران.

وقد صور ابن شمس الخلافة صورة الألسن بصورة الشيء المنعقد والذي ظل انطلاقه وذلك بقوله:

مدحتْك ألسنة الأنام[1] مخافة　　　　و تشاهد تلك بالثناء الأحسن

أترى الزمان مؤخراً في مدتي　　　　حتى أعيش إلى انطلاق الألسن

ومن المحسنات البديعية التي كثرت في شعر الشعراء (الطباق) وذلك في قول مروان بن أبي حفصة، في الفضل:

عندك الملوك منافع و مضرة　　　　وأرى البرامك لا تضر ولا تنفع

وإذا جهلت من امرئ أعراقه　　　　و قديمه فانظر إلى ما يصنع

إن العروق إذا استسر[2] بها الندى[3]　　　　شب النبات بها وطاب[4] المزرع

فالطباق في قوله: تضر و تنفع، وكذا يبدو وقفة أخرى على المقابلة في قوله لا تضر ولا تنفع، وفي البيت الثالث صور العروق بصورة الشيء المادي الذي غطاه الندى في الصباح الباكر، كما وصور تلك القطرات بصورة النبات ويعود لشبابه، ويطيب المزرع لذل ويظهر الطباق في قول الشاعر:

لفضل بن سهل يد　　　　تقاصر عنها المثل

فنائلها للغنى　　　　وسطوتها للأجل

وباطنها للندى　　　　وظاهرها للقبل[5]

---

(1) الأنام :الناس والخلق جميعاً.

(2) استتر : تغطى.

(3) الندى : قطرات الماء في الصباح الباكر.

(4) طاب : لذ.

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج /4 ص43

فيظهر الطباق في قوله: (باطنها و ظاهرها)، ففي هذه الأبيات عدة وقفات أسلوبية

منها الوقوف على صيغ القسم والشرط في البيت الأول، كما ويظهر في العجز صورة الأسلوب الاستثنائي، وفي البيت الثاني يظهر جمال التصوير الفني.

ويظهر أسلوب الطباق أيضاً في البيت التالي لصريع الغواني:

أقمت خلافة وأزلت أخرى جليل ما أقمت و ما أزلتا

فالطباق بلفظة أقمت وأزلت، وأقمت وأزلت في العجز أيضاً، لانه جاء مكان، وا لا يسيء للخليفة ، فكلاهما جليل.

ويظهر أسلوبا الطباق والمقابلة في عجز البيت الثاني، ويتضح وجود الأضداد، التضاد والجمع بين النقيضين، وذلك في هذه الأبيات للمتنبي في مدح عضد الدولة:

وقد رأيت الملوك قاطبة وسرتُ حتى رأيت مولاها

ومن مناياهم براحته يأمرها فيهم وينهاها

أبا شجاع بفارس عضد الـ ـدولة فناخسروا شهنشاها

أسامي لم تزده معرفة وإنما لذةً ذكرناها(1)

ومن السمات الأسلوبية التي تظهر في الأبيات الجناس بقوله:

يقول بشعب بوان حصاني أعن هذا يسار إلى الطعان

أبوكم آدم سن المعالي و علمكم مفارقة الجنان

فقلت:إذا رأيت أبا شجاع سلوت عن العباد وذا المكان

فيظهر الجناس الناقص في البيت الأول، وسائر عامة، وذلك ما يوحي بوحدة الجرس الموسيقي فيها، حتى الأصوات المتناغمة والمتوازية فيها توحي بالوحدة العضوية في سائر وقفاتها.

ومن جملة هذه الأبيات:

أروح وقد ختمت على فؤادي بحبك أن يحل به سواكا

لعل ا يجعله رحيلا يعين على الإقامة في ذَراكا

فلو أني استطعت خفضت طرفي فلم أبصر به حتى أراكا

و كيف الصبر عنك و قد كفاني نداك المستفيض وما كفاكا(2)

---

(1) **عمران، عبد اللطيف، الأدب العربي في بلاط عضد الدولة البويهي، دمشق، ط20021م، ص52.**

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص52

وظهور الموازنة عامةً في الأبيات السابقة، يوحي بالوحدة النفسية في هذه الأبيات، كما أن هذا الأسلوب يعمد إلى قمة الصوت في الصورة؛ ليعمق الأسلوب فيها والذي يعتمد على

حركة الموازنة المتنقلة بين الأبيات.

ومن أعتاض عنك إذا افترقنا وكل الناس زور ما خلاكا

وما أنا غير سهم في هواءٍ يعود ولم يجد فيه امتساكا[1]

فيظهر في الأبيات المحسن البديعي المعتمد على أسلوب الالتفات في البيت الثاني، والذي من شأنه أن يعمق فكرة المراوحة بين عموم الضمائر المستخدمة في الأبيات.

ومن عجائبها البئر التي انفردت بالقر[2] في الحر و الأمواه تضطرم

كأنما ماؤها في كل هاجرة ريق الحبيب عقيب الهجر وهي فم

وذكر الثعالبي شيئاً من نظمه، فمن ذلك ما كتبه إلى أبي الفضل الميكالي:

بحران: بحر في البلاغة شأنه شعر الوليد وحسن لفظ الأصمعي

وترسل الصابي يزين علوه خط ابن مقلة ذو المحل الأرفع

كالنور أو كالسحر أو كالبدر أو كالوشي في بردٍ عليه موشع[3]

شكراً فكم كم فقرة لك كالغنى وافى الكريم بعيد فقر مدقع

وإذا تفتق نَور شعرك ناضرا فالحسن بين مرصع و مصرع

أرجلت فرسان الكلام ورضت أفـ ـراس البديع و أنت أمجد مبدع

ونقشت في فص الزمان بدائعاً تزري بآثار الربيع الممرع[4]

فيشيع في هذه الأبيات جملة من الأساليب البديعية والصور الفنية، مع عمق المعاني الفنية، ففي البيت الثالث أسلوب الطباق المستخدم في قوله (القر، والحر)، ويظهر محسن آخر في قوله: هاجرة والهجر وهو جناس ناقص (مرصع ومصرع).

ويظهر أسلوب الجناس الناقص أيضاً في الأبيات التالية، فيقول ابن التعاويذي:

خليفة ا أنت بالدين والدنـ ـــــيا و أمر الإسلام مضطلع

أنت لما سنه الأئمة أعـ ـلام الهدى مقتف ومتبع

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج 4 / ص52

(2) القر : البرد الشديد، ابن منظور، لسان العرب، ج5 / ص82

(3) الجادر، محمود عبدا ، ديوان الثعالبي، بيروت، مكتبة النهضة العربية، ط1، 1988م، ص88.

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج 3 / ص179

قد عدم العدم في زمانك والـ ـجور معا و الخلاف والبدع

فالناس في الشرع والسياسة والإحسان والعدل كلهم شَرعوا

يا ملكاً يردع الحوادث و الأيام عن ظلمها فترقعوا

ومن له أنعم مكررة لنا مصيف منها مرتبع

أراضٍ قد أجدبت وليس لمن أجدب يوما سواك منتجع

ولي عيال لا در درهم قد أكلوا دهرهم و ما شبعوا

إذا رأوني ذا ثروة جلسوا حولي ومالوا إلي و اجتمعوا

يمشون حولي شتى كأنهم عقارب كلما سعوا لسعوا

فإن أردتم امرأ يزول به الـ ـخصام من بيننا و يرتفع

فاستأنفوا لي رسما أعود على ضنك معاشي به فيتسع

وإن زعمتم أني أتيت بها خديعة فالكريم ينخدع(1)

فيظهر في البيت الثالث الجناس الناقص، وكذا في البيت الرابع في قوله (الشرع و شرع) وأسلوب المشاكلة في قوله (يردع فتردع)، والترادف في البيت الثاني (مقتف ومتبع).

وأيضاً (درهم ودهرهم) وهو جناس من نوع شائع عند أبي فراس، والمقابلة توحي بقوة

المعنى المضاد للمعنى الآخر في البيت قبل الأخير.

ومن أمثلة الطباق أيضا في بيتين لابن الزيات، مدحه البحتري بقصيدته الدالية بقوله:

وأرى الخلق مجمعين على فضـ ـلك من بين سيد ومسود

عرف العالمون فضلك بالعـلـ ـــم قال الجهال بالتقليد

والطباق في قول أبي الطيب المتنبي بإحدى قصائده:

باد هواك صبرت أصبرت أم لم تصبرا وبكاك إن لم يجر دمعك أو جرى

ففي العجز طباق السلب بقوله إن لم يجر دمعك أو جرى، وصبرت، لم تصبرا.

والطباق في قول أبي الطيب المتنبي بإحدى قصائده:

ومن الصور الشعرية البديعة صورة الشوق واللهيب الذي يشعر به الشاعر ابن نباته السعدي المقدم ذكره فيقول:

برح اشتياق وادكار ولهيب أنفاس حرار

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4 / ص467- ص468

و مدامع عبراتها ترفض عن نوم مطار

قلبي ما يجن من الهموم و ما يواري
لقد انقضى سكر الشبا ب وما انقضى وصب الخُمار
وكبرت عن وصل الصغا ر وما سلوت عن الصغار(1)

فقد صور الحالة النفسية بصورة الدموع التي تبدو وهي رافضة للنوم، ويتابع الوصف في

هذه الأبيات على نفس الصورة النفسية التي يبدو فيها الكشف، ويدغم تلك الصورة ليغطيها في البيت الأخير بصورة الجناس الرائع الذي يرفض فيه الهوان و الصدماء والذل.

ويقول أيضاً في مدح ابن العميد من القصيدة نفسها:

لم يبق لي عيش يلذ سوى معاقرة العقار
حسبي بألحان قمر ت بهن الحان القَماري
وإذا استهل ابن العميـ ـد تضاءلت دِيم القطار
خرق صفت أخلاقه صفو السبيك من النضار
فكأنما رفدت موا هبه بأمواج البحار
وكأننا مما تفـ ـرق راحتاه في نثار
كاف بحفظ السر تحـ ـسب صدره ليل السرار(2)

فقد صور صورته بأن الديم تبدو مختفية أمامه من شدة بهجته ومقامه، كما تظهر لنا صورة أمواج البحر الخامدة أمام مواهبه العظيمة.

ومنها أيضاً:

إن الكبار من الأمو ر تنال بالهمم الكبار
والى أبي الفضل اتبعـ ـت هواجس النفس السواري

فيظهر لنا أسلوب الجناس الرائع ومدى العمق النفسي وجذْب والصوت، والسمع المتوازي

مما فيه.

ومن الجناس أيضا، قصيدة لأبي السعادات (ابن الشجري) يمدح بها الوزير نظام الدين، فيقول:

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج 5 / ص1

(2) المصدر نفسه: ج5 / ص106

يا صاحبي تأملا حييتما وسقى دياركما الماث الرائح
أدمىً بدت لعيوننا أم ربرب أم خُرد أكفالهن رواجح
أم هذه مقل الصوار رنَتْ لنا خلال البراقع أم قنا وصفائح(1)

فتحتوي هذه الأبيات عامة على أسلوب الجناس الذي من شأنه تعميق الصورة، ولغة الأسلوب، حيث يشيع فيها جمال الصوت؛ فيوحي بجمال الأسلوب من جانب وتوازن الموسيقى اللفظية من جانب آخر.

ومن الأساليب التي استخدمت أسلوب الشرط، وأسلوب النفي، حيث عقد توازناً جميلاً بين الأسلوبين، حيث عقد الشرط بوجود النفي، وذلك في البيت التالي للأديب الفاضل جمال الدين بن يحيى المعروف بالجزار المصري فيقول:

قف معي واستوقف الركب فإن لم يقف فاتركه يمضي وطريقه(2)

ومن أمثلة الطباق، قصيدة للبحتري مادحاً أبا الفضل، فمنها:

بالبر صمت وأنت أفضل صائم وبسنة ا الرضية تفطر

صائم وتفطر طباق .

ومن نفس القصيدة:

والأرض خاشعة تميد بثقلها والجو معتكر الجوانب أغبر
والشمس طالعة توقد في الضحى طورا ويطفيها العجاج الأكدر(3)

حيث صور صورة الأرض بصورة الإنسان الذي يبدو خاشعاً مؤتمراً، وقد ُأثْقِل عليه الجو

المغبر الذي غطّاه، فقد مازج الشاعر بين الصورة الفنية وأسلوب التشخيص الذي يبدو عنده.

كما ويظهر أسلوب الطباق في البيت التالي من القصيدة نفسها للبحتري:

ومشيت مشية خاشع متواضع لا يزهى و لا يتكبر

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ج6 / ص48

(2)المصدر نفسه : ج6 / ص265

ومن الأساليب البديعية التي استخدمت النداء، ومن ذلك قول الشاعر الثعالبي في وصف فرس:

يا واهب الطرف الجواد كأنما   قد أنعلوه بالرياح الأربع
لا شيء أسرع منه إلا خاطري   في وصف نائلك اللطيف الموقع
ولو أنني أنصفت في إكرامه   لجلال مهديه الكريم الألمعي
أقضمته حب الفؤاد محبة   وجعلت مربطه سواد المدمع
وخلعت ثم قطعت غير مضيع   برد الشباب لجله والبرقع(1)

فيظهر في الأبيات السابقة عدةً من الأساليب اللغوية المختلفة، فمنها النداء والنفي والشرط، حيث مزج الشاعر بينها لتعميق الصورة الحسية عنده، فهو ينادي الموجودات

عامة، ومن ثم يعمد إلى عدم نسيان تلك المواضع، و إلى أسلوب الشرط الذي يظهر فيه إنصاف وعدل الممدوح والموصوف.

وأيضاً قول الناشئ الأكبر في وصف بازٍ:

لما تفرى الليل عن أثباجه   وارتاح ضوء الصبح لانبلاجهِ
عدوتُ لبغي الصيد في منهاجه   بأقمرٍ وأبدع في نِتاجه
ألبسه الخالق من ديباجه   وشيئاً يحار الطرف في اندراجه
في نسقٍ منه وفي انعراجه   وزان قَود يه الى حجاجهِ
بزينةٍ كفته نظم تاجه   منْسِره ينبئ عن خِلابه
وظُفْره يخبر عن عِلاجه   لو استضاء المرء في إدلاجه(2)

فنلمح هنا في هذه الأبيات السابقة الاعتماد الوصف والتشبيه في الأبيات؛ لتعميق الصور عنده، وكم هي تقع موقع القلب من خلال الوصف المنشود سابقاً.

وذات مرة مما رآه الأصمعي قال " مر بنا أعرابي ينشد ابنا له، فقلنا له: صفه لنا، فقال: كأنه دنينير، فقلنا له: لم نره، فقال: فلم يلبث أن جاء بصغير أُسيد كأنه جعلٌ قد حمله على عنقه، فقلنا: لو سألنا عن هذا لأرشدناك، ثم أنشد الأصمعي:

نِعم ضجيج الفتى إذا برد   الليل سحيراً وقرقف الصرد

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج 6 / ص179

(2) المصدر نفسه : ج3 / ص93

زينها ا في الفؤاد كما زين في عين والد ولد

فقد استخدم الشاعر أسلوب المدح في البيت الأول.

ومن شعر ابن طباطبا في وصف الليل:

إن نجوم الليل سارت نهارها فوافت عشاءً وهي أنضاء أسفار

وقد خيمتْ كي يستريح ركابها فلا فلك جارٍ ولا كوكب سار(1)

فنلاحظ وجود الطباق في البيت الأول (الليل، نهارها).

ولقد مر الأبله على باب دار صديقه من أبناء البغاددة فوصف داره، فأنشد يقول:

دارك يا بدر الدجى جنة بغيرها نفسي ما تلهو

وقد روي في خبر أنه أكثر أهل الجنة البله

فهذا على استخدام أسلوب النداء (يا بدر).

ومن هذه الأساليب أسلوب الشرط فقد وقف الشعراء في أشعارهم عليه، وذلك في وصف مروحة الخيش، فيقول صاحب كتاب التذكرة، ابن حمدون:

ومرسلة معقودة دون قصدها مقيدة تجري حبيس طليقها

يمر خفيف الريح وهي مقيمة وتسري وقد سدت عليها طريقها

إذا صدق النوء السماكي أمحلت وتمطر والجوزاء ذاك حريقها

تحيتها إحدى الطبائع أنها لذلك كانت كل روح صديقها(2)

ويقول القاضي الشهرزوري في وصف نزول الثلج:

ولما شاب رأس الدهر غيظا لما قاساه من فقد الكرام

أقام يميط هذا الشيب عنه وينثر ما أماط على الأنام(3)

فقد صور صورة الدهر بصورة الإنسان الذي له رأس، قد شاب رأسه من لكثرة حزنه على فقد الرجال الكرام، فهذه صورة جميلة لنزول الثلج.

ومن أمثلة النداء أيضاً ولما أقام فتيان الشاغوري مدة بالزبداني وله فيها أشعار لطيفة، فمن ذلك قوله في جنة الزبداني، وهي أرض فيحاء جميلة المنظر تتراكم عليها الثلوج في زمن الشتاء وتنبت أنواع الأزهار في زمن الربيع، فيقول في وصف أرض الزبداني:

(1) علاونه، شريف، شعر ابن طباطبا العلوي الأصفهاني، دار المناهج، القاهرة، ط1، 2002م، ص83.

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص381

(3) المصدر نفسه : ج4/ ص247

قد أجمد الخمر كانون بكل قِدح وأخمد الجمر في الكانون حين قدح

يا جنة الزبداني أنت مسفرة بحسن وجه إذا وجه الزمان كلح

فالثلج قطن عليك السحب تندفه والجو يحلجه والقوس قوس قُزح[1]

فصور الشاعر صورة الثلج بصورة القطن الأبيض، وبهذا يظهر وضوح الجانب الذي

يعمد على نقاء الصورة بينهما، لان البياض فيه من خصائص النقاء و النصوع.

ومن أمثلة المجانسة بين الألوان، شعر سيف الدولة بن حمدان، وهي من محاسن شعره في وصف قوس قزح:

وساقٍ صبيحٍ للصبوح دعوته فقام وفي أجفانه سِنةُ الغُمض

يطوف بكاسات العقار كأنجم فمن بين منقض علينا ومنفض

وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفا على الجودِ دكناً والحواشي على الأرض

يطرزها قوس السحاب بأصفَ على أحمر في أخضر تحت مبيض

كأذيال خَودٍ أقبلت في غلائل مصبغة، والبعض أقصر من بعض[2]

وللباخرزي ديوان شعر كبير والغالب عليه الجودة فمن معانيه، في وصف البرد، فيقول:

كم مؤمن قرصته أظفار الشتا فغدا لِسكان الجحيم حسودا

وترى الطيور الماء في وكناتها تختار حر النار والسفردا

وإذا رميت بفضل كأسك في الهوى عادت عليك من العقيق عقودا

يا صاحب العودين لا تمهلهما حق لنا عودا وحرك عودا[3]

فقد اعتمد الشاعر على أسلوب الإنشاء الطلبي من خلال ظهور الاستفهام والنداء في الأبيات السابقة.

ومن أسلوب النفي قول القاضي الفاضل في معنى بديع في وصف كاس سقطت:

ما سقطت كأسك من علة لكن يد الفضل قضت بتبديدها

هيهات أن تحفظها راحة ما حفضت قط سوى و جودها

فؤادي إليك شديد الظما وعيني تشكو و لك الحاجبا[4]

(1) الجندي، أحمد، ديوان فتيان الشاغوري، دمشق، ط1، 1976م، ص94.

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج3 / ص402.

(3) التونجي، محمد، ديوان الباخرزي، علي بن الحسن، دار صادر، بيروت، ط1، 1994م، ص100.

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج 1 / ص166

وأيضاً أسلوب الاستفهام، كقول الشاعر الفقيه المالكي في وصف يوم العيد:

يسر بالعيد أقوام لهم سعة   من الثراء، وأما المقترون فلا

هل سرني وثيابي فيه قوم سبأ   أو راقني وعلى رأسي به ابن جلا

وكذلك أسلوب النداء في قول السلامي المذكور سابقاً، ولقد دخل على أبي تغلب، وبين يديه درع، فقال: صفها لي، فوصفها، فقال:

يا رب سابغةٍ حبتْني نعمة   كافأتها بالسوء غير مفندِ

أضحت تصون عن المنايا مهجتي   وظللت أبذلها لكل مهند[1]

ومن التشبيهات البديعية الرائعة، وصف ابن سكرة لغصن رآه في يد غلام، وعليه زهر فيقول في ذلك:

غصن بانٍ بدا وفي اليد منه   غصن فيه لؤلؤ منظوم

فتحيرتُ بين غصنين في ذا   قمر طالع وفي ذا نجوم

وقال أبو الثناء محمود بن نعمة بن أرسلان النحوي الشيزري في وصف الشباب:

لقد بان الشباب وكان غصنا   له ثمر وأوراق تظل

وكان البعض منك فمات فاعلم   متى ما مات بعضك مات كلك

فقد صور الشباب بصورة الشجرة التي لها ثمر وأوراق وتظلل ما تحتها، وهذا التشبيه مستوحى من الطبيعة الماثلة.

وحضر الخالدي المقدم ذكره مرة في سماع مغنٍ حسن الغناء، فطربت له الجماعة، فوصف

حسن صوت المغني فقال:

وا لو أنصف العشاق أنفسهم   فدوك منها بما عزوا وما صانوا

ما أنت حين تغني في مجالسهم   إلا نسيم الصبا والقوم أغصان[2]

فيحتوي البيت الأول على أسلوب القسم، فقد أكثر الشعراء من استخدامه في أشعارهم، والنفي

في البيت الثاني.

وهذا جعفر البرمكي مشهور بعطاياه، فيقال إنه لما حج اجتاز طريقه بالعقيق، وكانت سنة مجدبة، فاعترضته امرأة من بني كلاب، وأنشدته تصف الموقف وتنفي في البيت الثاني:

إني مررت بالعقيق وأهله   يبكون من مطر الربيع نزورا

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4/ ص405

(2) المصدر نفسه : ج4 / ص460

ومن الأساليب التي شاعت وكثرت في الشعر العباسي (أسلوب الاستفهام)، ومن أشهر رجال الدولة المعروفين الوزير الصالح بن رزيك، فقد كان وزيرا بمصر، وعندما مات رثاه الفقيه عمارة اليمني، بقصيدة منها:

أفي أهل النادي عليم أُسائله   فإني لما بي ذاهب اللب ذاهلُه

سمعتُ حديثا أحسد الصم عنده   ويذْهلُ واعيه ويخرس قائله

فهل من جوابٍ يستغيث به المنى   ويعلو على حق المُصيبةِ باطله

وقد رابني من شاهدِ الحال أنني   أرى الدست منصوبا وما فيه كافله

فهل غاب عنه واستناب سليله   أم اختار هجرا لا يرجى تواصله

فإني أرى فوق الوجوه كآبة   تدل على أن الوجوه ثواكله[1]

فالملاحظ هنا في الأبيات السابقة، شيوع أسلوب الاستفهام في هذا المضمون؛ لأنه يناسب المعنى المقصود في هذا الغرض،ففي البيت الأول يستفهم عن أعلم الناس لعلم يشفي غليله بما جرى واذهب عقله، ومنها أيضاً:

دعوني فما هذا أوان بكائه   سيأتيكم طل البكاءِ ووابله

ولا تُنكروا حزني عليه فإنني   تقشّع عني وابلٌ كنت آمله

ولِم لا نبكيه و نندب فقده   و أولادنا أيتامه وأرامله

فيا ليت شعري بعد حسن فعاله   وقد غاب عنّا ما بنا ا فاعله

ومن الأساليب الأخرى المستخدمة في هذا الباب أسلوب التمني كما في البيت الرابع، وكذلك الاستفهام في البيت التالي، في قول الشاعر الشريف الرضي يرثي الصابئ صاحب الرسائل:

أرأيت من حملوا على الأعواد ؟   أرأيت كيف خبا ضياء النادي؟ [2]

وعندما مرض أبو العلاء المعري كان مرضه ثلاثة أيام، ومات في اليوم الرابع، ولم

يكن عنده غير بني عمه فقال لهم في اليوم الثالث: اكتبوا عني، فتناولوا الدوي والأقلام،

فأملى عليهم غير الصواب، فقال القاضي أبو محمد عبدا التنوخي[3] : أحسن ا

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج2 /ص 528

(2) عمران، الأدب العربي في بلاط عضد الدولة البويهي، ط1، ص103

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج1 / ص115

عزاءكم في الشيخ فإنه ميت، فمات ثاني يوم، ولما توفي رثاه تلميذه أبو الحسن علي بن همام فيقول:

إن كنت لم تُرق الدماء زهادةً فلقد أرقْتَ اليوم من جفني دما

سيرتَ ذِكْرك في البلاد كأنه مِسك فسامِعةً يضمخُ أو فما

وأرى الحجيج إذا أرادوا ليلة ذكراك أخْرج فديةً من أحرما[1]

فالأبيات صورتها الفنية تعمد على إظهار عمق المأساة التي حلت بالشاعر بالمسك وسيرته في تلك البلاد، فسرعان ما غابت تلك الروائح الزكية عن البلاد.

ولما قُتل المتنبي رثاه أبو القاسم المظفر بن علي الطبسي فقال:

ما رأى الناس ثاني المتنبي أي ثانٍ يرى لبكر الزمان

كان من نفسه الكبيرة في جيـ ـ ـش وفي كبرياء ذي سلطان[2]

فقد ذكر استخدام الشاعر أسلوب النفي، فنفى أنه لا شبيه بين الناس، ولا يحل محله أحد من الناس.

وأيضاً الاستفهام في قول الشاعر ابن بدرون في رثاء الأفطس والتي أولها:

الدهر يفجع بعد العين بالأثر فما البكاء على الأشباح والصور[3]

ولما توفي الأمين رثاه الخليع الشاعر المقدم ترجمته ببيتين:

هلا بقيت لسد فاقتنا أبداً وكان لغيرك التالفُ

قد كان فيك لمن مضى خلفٌ فاليوم أعوز بعدك الخلفُ

فالتحضيض هنا معتمد على وجود المفارقة والمقابلة بين النقيضين، ووجود حرف التحقيق (قد) وروده بعد الفعل الماضي الناقص كان، في البيت الثاني.

ولما مات حماد الراوية رثاه أبو يحيى محمد بن كناسة، وهو لقبه، واسمه عبد الأعلى عبدا بن خليفة بن نضلة بن مازن بن ذويبة بن أسامة بن نصر بن قُعين، بقوله:

يرحمك الله من أخي ثقةٍ لم يك في صفو وده كدر
فهكذا يفسد الزمان ويفـ ـنى العلم فيه ويدرس الأثر

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج1 / ص115

(2) المصدر نفسه : ج1 / ص124

(3) المصدر نفسه : ج1 / ص 334

فالشرط المضمن بالنفي لتوكيد المعنى الوارد في الأبيات الأولى؛ ليعمد إلى الإجابة بنفي المعنى في الأبيات اللاحقة بالعجز الموجود في البيت الثاني.

والتوكيد بقد في رثاء البحتري لدعبل:

قد زاد في كلفي وأوقد لوعتي مثوى حبيب يوم مات ودعبل

أخوي لا تزل السماء مخيلة تغشاكما بسماء مزنٍ مسبِل

جدثٌ على الأهواز يبعد دونه مسرى النعي ورمةٌ بالموصل[1]

وكان لأبي الوليد الباجي ابنان فلما ماتا رثاهما، فقال:

لئن غُيبا عن ناظري وتبوءا فؤادي لقد زاد التباعد في القرب

يقر بعيني أن أزور ثراهما وألصق مكنون الترائب بالترب[2]

فقد لجا إلى الطباق في البيت الأول (التباعد والقرب)، والطباق المعتمد على نفي المشابهة، مع وجود الشرط (لئن غُيبا).

وكان لديك الجن جارية يهواها اسمها دنيا، ولكنها قتلت، والمتهم بالجارية غلام كان يهواها فقتله أيضاً وصنع فيه أبياتاً يرثيه فيها:

أشفقت أن يرد الزمان بغَدره أو أُبتلى بعد الوصال بهجرهِ[3]

فطابق الشاعر بين الوصال وهجره وعمد إلى إيضاح الفرق بين حالة نقيضين هما الوصل والهجر، فثمة فرق بين الوصل والهجر.

وكتب أبو نُواس إلى الفضل بن الربيع يعزيه في الرشيد، فيقول:

تعز أبا العباس عن خير هالك بأكرم حي كان أو هو كائن

وفى الحي بالميت الذي غيب الثرى فلا أنت مغبون[4] ولا الموت غابن[5]

فيظهر أسلوب النداء في البيت الأول، وأيضا كذلك النداء عندما توفي أبي تمام، فقد رثى نفسه، فعندما نزعت ثيابه وُجِد مكتوبا فيها على رقعة يرثي نفسه:

يا رحمتا للغريب في البلد النـ ـازح ماذا بنفسه صنَعا

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج2 / ص270

(2) المصدر نفسه : ج2/ص408

(3) المصدر نفسه : ج3 / ص187

(4) مغبون : من الغبن وهو الغش أو المعنى المقصود بالشيء.

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4 / ص39

فارق أحبابه فما انتفعوا   بالعيش من بعده ولا انتفعا

والنفي في البيت الثاني (فما انتفعوا).

وأسلوب الشرط في قول ديك الجن يرثي غلاما قد قتله فيقول:

لو كان يدري الميت ماذا بعده   الحي منه بكى له في قبره

غُصص تكاد منها نفسه   ويكاد يخرج قلبه من صدره(1)

ويقول ابن دريد في رثاء الشافعي:

ألم تر آثار ابن إدريس بعده   دلائلها في المشكلات لوامع

معالم يفنى الدهر وهي خوالد   وتنخفض الأعلام وهي فوارع

ظواهرها حكم و مستبطناتها   لما حكّم التفريقُ فيه جوامع

لرأي ابن إدريس ابن عم محمدٍ   ضياء إذا ما اظلم الخطب ساطع

إذا المفْظِعات المشكلات تشابهت   سما منه نور في دجاهن لامع(2)

فتحتوي الصورة الشعرية في الأبيات على المأساة بشكل عام، ونلاحظ الطباق (ضياء، مااظلم) المعتمد على مزج الصورة ليوحي بها عن شدة الألم التي يتأثر فيها المتكلم،

وليظهر عمق المأساة للسامعين.

والطباق من الألوان التي كثُر استخدامها في الشعر العباسي، فيقول العتبي يرثي أولاده:

أضحت بخدي للدموع رسوم   أسفاً عليك وفي الفؤاد كُلُوم

والصبر يحمد في المواطِن كُلها   إلا عليك فإنه مذْموم(3)

وعندما رجع أبو بكر الخوارزمي من الشام سكن نيسابور ومات بها في منتصف شهر

رمضان سنة ثلاث وثمانين ثلاثمائة، فعمل الصاحب ابن عباد فيه هجاء فقال:

أقول لركبٍ من خراسان قافلٍ أمات خوارزميكم؟ قيل لي: نعم

فقلت:اكتبوا بالجص من فوق قبره ألا لعن الرحمن من كفَّر النعم[4]

فيستعين الشاعر بأسلوب الاستفهام في البيت الأول، من اجل الإثبات والتقرير، والأمر في البيت الثاني ليفيد الوجوب.

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج3 / ص188

(2) المصدر نفسه : ج4 / ص168

(3) المصدر نفسه: ج4 / ص399

(4) الجنان، مأمون بن محي الدين، أبو بكر الخوارزمي بين نثره وشعره، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م، ص43.

ومن الشعراء الذين رثوا أباهم ابن حيوس فقد ذكر ابن خلكان أنه عندما مات أباه وتوليته الأمر من بعده فقال:

صبرنا على حكم الزمان الذي سطا على أنه لولاك لم يكن الصبر

غزانا ببؤسي لا يماثلها الأسى تقارن نعمى لا يقوم بها الشكر

تباعدت عنكم حرفة لا زهادة وسرت إليكم حين مسني الضر

فلاقيتُ ظل الأمن ما عنه حاجز يصد، وباب العز ما دونه ستر

فقد عمد الشاعر أسلوب النفي في البيت الثاني في العجز، معتمدا على وجود المفارقة العقلية بين الواقع والمراد المطلوب.

ومن شعر أبي الفرج الببغاء، يقول:

يا سادتي هذه روحي تودعكم إذ كان لا الصبر يسليها ولا الجزع

قد كنت أطمع في روح الحياة فما فالآن إذ بنتم لم يبق لي طمع[1]

ولابن حيوس أبيات يذكر فيها وفاة أبيه وتوليته الأمر من بعده فيقول:

لقد كنت مأموراً ترجى لمثلها فكيف وطوعا أمرك النهي والأمر

وما بي إلى الإلحاح والحرص حاجة وقد عرف المبتاع وانفصل السعر

وإني بآمالي لديك مخيم وكم في الورى ثاوٍ وآماله سفْر

وعندك ما أبغي بقولي تصنعا بأيسر ما توليه يستعبد الحر[2]

وقد تجتمع المحسنات البديعية في مضمون البيت الشعري الواحد، كالاستفهام في عجز البيت الأول، والطباق (النهي والأمر)، والنفي صدر البيت االثاني (وما بي)، والاستفهام في عجز البيت الثالث (وكم في الورى).

(1)ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج3 / ص205

(2)المصدر نفسه: ج 4/ ص439

وقد شاع في العصر العباسي ظاهرة التغزل بالغلمان، فكان للصابئ صاحب الرسائل عبداً أسود اسمه يمن، وكان يهواه، وله فيه معانٍ بديعة، فيقول:

قد قال يمن وهو أسود للذي ببياضه استعلى علُو الخائن

ما فخر وجهك بالبياض؟ وهل ترى أن قد أفَدت به مزيد محاسن ؟[1]

فالطباق واضح في البيت الأول (البياض والسواد)؛ وذلك ليبين ما فيه من مفارقة واضحة عنده.

ولأبي تمام الطائي في كتاب " الحماسة "، في باب النسيب:

ونُبئْتُ ليلى أرسلتْ بشفاعةٍ إلي، فهلا نفس ليلى شفيعها

أأكرم من ليلى علي فتبتغي به الجاه أم كنتُ امرءاً لا أطيعها[2]

ومن الأشعار الجيدة لابن فارس:

مرتْ بنا هيفاء مجدولةٌ تركيةٌ تنمى لتركي

ترنو بطرفٍ فاترٍ فاتنٍ أضعفَ من حجةِ نحوي[3]

ومن حكايات أبي العتاهية أيضاً مع عتبة جارية المهدي التي تغزل بها، فيقول في ذلك:

يا إخوتي إن الهوى قاتلي فيسروا الأكفان من عاجل

ولا تلوموا في إتباع الهوى فأنني في شُغُلٍ شاغل

فيتضح أسلوب الإنشاء الطلبي المعتمد على الاستفهام؛ ليوصي ما عنده من ألمٍ، يتساءل عن الحب وما فيه من وجد وما له طاعة للجسم.

ومن حكايات أبي العتاهية أيضاً، قوله:

يا من رأى قبلي قتيلا بكى من شدةِ الوجد على القاتل

بسطتُ كفي نحوكم سائلا ماذا تردون على السائل

إن لم تُنيلوه ، فقولوا له   قَولاً جميلا بدلَ النائل

أو كنتم العام على عسرةٍ   منه فمنوه إلى القابِل[4]

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج1/ ص219

(2) المصدر نفسه : ج4 / ص47

(3)المصدر نفسه: ج1 / 119

(4)المصدر نفسه: ج1 / ص223

فيظهر في الأبيات أسلوب الإنشاء الطلبي (النداء، الاستفهام، الشرط).

وقال ابن وكيع التنيسي متغزلاً:

سلا حبك القلب المشوق   فما يصبو إليك ولا يتُوقُ

جفاؤك كان عنك لنا عزاءً   وقد يسلي عن الولد العقوقُ[1]

وله أيضاً:

إن كان قد بعد اللقاء فَودنا   دانٍ، ونحن على النوى أحباب

كم قاطع للوصل يؤْمن وده   ومواصِل بوداده يرتاب

وله أيضاً:

لقد شَمِت بقلبي   لا فرج ا عنه

كم لمته في هواه   فقال لا بد منه

ولقد ألم به بعضهم فقال:

لا رعى عزمةً ضمِنت لي   سلْوةَ القلب والتصبر عنه

ما وفتْ غير ساعةٍ ثم عادتْ   مثل قلبي تقول لا بد منْه[2]

ويقول أسامة بن منقذ:

لا تستعِر جلداً على هجرانهم   فقُواك تضعفُ عن صدود دائمِ

واعلم بأن قد رجعتَ إليهم   طوعاً، وإلا عدتَ عودةَ راغمِ[3]

فقد ورد أسلوب الطباق (الوصل والقطع)، وأسلوب النفي (ما وفت غير ساعةٍ)، والنهي(لا تستعر)، واستعمال الإنشاء الطلبي المعتمد على الأمر.

وللخليع الشاعر أبيات في الغزل فيقول في ذلك:

صل بخدي خديك بلقاءٍ عجيبٍ   من معانٍ يحار فيها الضمير

فبخديك للبيع رياض وبخدي للدموع غدير[4]

(1) التنيسي، ابن وكيع، المنصف للسارق والمسروق منه في إظهار سرقات المتنبي، تحقيق محمد يوسف نجم، بيروت، ط1، 1984م، ص21

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج2 / ص105

(3) المصدر نفسه: ج2 / ص105

(4) المصدر نفسه: ج2 / ص154

أيا من طرفه سحر ويا من ريقه خمر[1]
تجاسرتُ فكا شفتـ ـك لما غاب الصبر
وما أحسن في مثلـ ـــــك أن ينتهك الستر
فإن عنفني الناس ففي وجهك لي عذر[2]

فتتضح الصورة الفنية التي تعمد على الأسلوب، لبيان شدة وقْع ما في الشاعر من الألم، ولعمق رسوخ الصورة، فقد قابل بين الرياض والغدير.

ومن شعراء هذا العصر دعبل ومن شعره في الغزل:

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب براسه فبكى
يا ليت شعري كيف نومكما يا صاحبي إذا دمي سفِكا[3]

فقد مزج الشاعر بين أسلوبي النهي والاستفهام؛ ليوضح فكرة مفادها كيف سيصل إلى ما يريد من خلال طرق الاستفهام، مستعطفاً ومحركاً مشاعر المخاطب من خلال أسلوب التمني.

ومن شعراء الغزل السري الرفاء، فقد كان كثير في الأوصاف والتشبيهات، ومن شعره:

بنفسي من أجود له بنفسي ويبخل بالتحية والسلامِ
وحتْفي كامن في مقلتيه كمون الموت في حد الحسامِ

فشبه وجوده في مقلتي ونفس المحبوبة، برسوخ الموت وثباته في حدود السيف، وهي صورة توحي بما فيها من عنصري الصوت والصورة.

ومن التغزل بالجواري، فقد قال الناشئ الأكبر شعراً في جارية مغنية بديعة الجمال ومنه:

فَديتكِ لو أنهم أنصفوك لردوا النواظر عن ناظريكِ

تَردين أعيننا عن سِواكِ وهلْ تنظر العين إلا إليك

و هم جعلوكِ رقيباً علينا فمن ذا يكون رقيباً عليك

ألم يقرؤوا ويحهم ما يقرؤون من وحي حسنك في وجنتَيكِ[4]

---

(1) أحمد فراج، عبد الستار، أشعار الخليع ، الحسين بن الضحاك، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1960م، ص54.

(2) رياض أحمد، شوقي، الحسين بن الضحاك، حياته وشعره، القاهرة، ط1، 1972م، ص215.

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج2 / ص268

(4) المصدر نفسه: ج3 / ص92

ومن التغزل بالجواري، فقد قال الناشئ الأكبر شعراً في جارية مغنية بديعة الجمال،

فأكثر الشاعر من استعمال أسلوب الاستفهام (هل تنظر، فمن ذا يكون، ألم يقرؤوا) والنداء في قول ديك الجن في جارية كان يهواها اسمها دنيا، فاتهمها بغلان فقتله، ثم ندم على ذلك، ثم أكثر من التغزل بها فقال:

يا طلعةً طلع الحمام عليها وجنى لها ثمر الردى بيديها

رويتُ من دمها الثّرى ولطالما روى الهوى شفَتَي من شفتيها

مكنّتُ سيفي من مجال خِناقها ومدامعي تجري على خديها

فوحق نعليها وما وطِئَ الحصى شيء أعز علي من نعليها

ما كان قتْلِيها لأنّي لم أكن أبكي إذا سقطَ الغُبار عليها[1]

لكن بخِلتُ على سِواي بحبها وأنِفتُ من نظر الغُلامِ إليها[2]

فقد بدأ أبياته هذه بالنداء، وبذلك هناك تصوير رائع في الأبيات، وخاصة في البيت الثاني، فيحتوي على صورة فنية رائعة، والنفي في البيت الخامس، وما فيه من سلب المعنى المراد.

ويقول فيها أيضا:

جاءت تزور فراشي بعد ما قُبِرت فظلْتُ ألثم نحراً زانه الجيد

وقلتُ قُرةَ عيني قد بعِثْتِ لنا فكيف ذا طريقُ القبر مسدود

قالت هناك عِظامي فيه مودعةٌ تعيثُ فيها بنات الأرض والدود[3]

فقد عمد إلى الاستفهام في عجز البيت الثاني.

ويقول أبو بكر ابن السراج النحوي في جارية سائرة بين الناس كان يهواها، فيقول:

حلفَتْ لنا ألا تخون عهودنا فكأنما حلفَتْ لنا أن لا تفي

وا لا كلّمتها ولو أنها كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفي

فتتسم الأبيات بصورة فنية جميلة، توحي بعمق المعاني، من خلال فهم المعاني المقصودة.

ويقول الشاعر الأبله، متغزلاً في قصيدة أنيقة له:

دعني أكابد لوعتي وأعاني أين الطليق من الأسير العاني

(1) مطلوب، أحمد والجبوري، عبدا ، ديوان ديك الجن، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1981م، ص13

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ج4 / ص14

(3) المصدر نفسه: ج4 / ص304

آليتُ لا أدع الملام يغرني من بعد ما أخذ الغرام عناني

أو لا تروض العاذلات وقد أرى روضات حسن في خدود حسان

ولدي يلتمس السلو ، ولم أزل حي الصبابة ميتَ السلوان

يا برق إن تجف العقيق فطالما أغنته عنك سحائب الأجفان

فالأبيات تدل على روعة الصورة الشعرية، فاسم الفعل في البيت الأخير، والنداء في البيت

الخامس، يدعم الأبيات بمكانة بلاغية جميلة.

وهذا ابن سناء الملك يتغزل بغلام جميل الصورة حفر حومة التلاق فأصابه حجر فانكسرت أسنانه فقال فيه:

كل سن كالأقحوانة كانت فغدت بالدماء كالجلناره

كان في حومة التلاق وما كا ن بعيداً في جملة النظارة

فأتته الأحجار شوقاً وزارتـ ـه فلا مرحباً بتلك الزيارة

كيف ينسى الفؤاد ثغر حبيب حسدتني عليه تلك الحجارة[1]

فوقف الشاعر على المعنى البلاغي للاستفهام في البيت الأخير، فيخرج لمعنى النفي.

وأنشد يعقوب بن صابر المنجنيقي نسيباً بغلام يتعلم السباحة في دجلة بغداد، وقد لبس

تُباناً أزرق، وشد ظهره بشكوة منفوخة، فقال فيه:

يا لرجال شكايتي من شكوة أضحت تُعانق من أحب وأعشق

جمعت هوىً كهواي إلا أنها تطفو ويثْقلني الغرام فأغرق

ويعيرني التبان عند عناقه أردافه فهو العدو الأزرق

فالصورة الفنية المعتمدة على التشبيه التمثيلي، حيث صور صورة التبان الأزرق بصورة البحر الذي يخاله الإنسان عدوًّا له ويخشاه.

وقد روى ابن صابر المنجنيقي البيت الثاني بصورة أخرى فقال:

حملت هوىً كهواي فهي بوصلة تطفو ويبكيني الغرام فأغرقُ[2]

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج6 / ص63

(2) المصدر نفسه : ج7 / ص38

التشبيه .... كهواي.

الاستغاثة والتعجب ...... يا لرجال شكايتي.

ويقول الأبله من قصيدة طويلة، ومنها هذه الأبيات، فيقول:

يصمي قلوب العاشقين بمقلةٍ طرف السنان و طرفها سيان

خَنِثُ الدلال: بشَعره وبثغره يوم الوداع أضلني و هداني

ما قام معتدلاً يهز قوامه إلا وبانت خَجلةٌ في البان

يا أهل نعمانٍ إلى وجناتكم تعزى الشقائق لا إلى نعمان

ما يفعل المران من يد قُلب في القلب فعل مرارة الهجران[1]

فنلاحظ استخدام أسلوب النفي في البيت الثالث، و النداء في البيت الرابع، والاستفهام في البيت الأخير، فقد أكثر الشعراء من استخدام هذه الأساليب، ومن ذلك قول الشريف ضياء الدين أبياتاً يتغنى:

يا بانة الوادي؛ التي سفكت دمي بلحاظها بل يا فتاة الأجرع

كيف السبيل إلى تناول حاجة قصرت يدي عنها كزنْدِ الأقطع[2]

وذات مرة كان الجاحظ بسر من رأى، وأمر بالغناء، فاندفعت عوادة فغنت:

كل يوم قطيعةٌ و عتاب ينقضي دهرنا ونحن غضاب

ليت شعري أنا خُصِصتُ بهذا   دون ذا الخلق أم كذا الأحباب

فقد وقف الشاعر على أسلوب الإنشاء الطلبي المعتمد على التمني في البيت الثاني.

فسكتت العوادة، وأمر الطنبورية فغنت:

وا رحمتاً للعاشيقينا   ما إن أرى لهم معينا

كم يهجرون ويصرمو   ن ويقطعون فيصبرونا(3)

فبدأت البيت الأول بأسلوب النداء والندبة (وا رحمتا)، والوقوف على الاستفهام في البيت الثاني.

ومن أمثلة أسلوب النداء والشرط أيضاً قول علي بن هارون المنجم متغنياً:

بيني وبينك في الهوى أسباب   والى المحبة ترجع الأنساب

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج4 / ص464

(2) المصدر نفسه : ج3 / ص61

(3) المصدر نفسه : ج3 / ص471

ومن الهجائيين، المتنبي، فقد كان والده سقاءً في الكوفة، ثم انتقل إلى الشام بولده، ونشأ ولده بالشام، إلى هذا أشار بعض الشعراء في هجو المتنبي حيث قال:

أي فَضلٍ لشاعر يطاب الفَضـ   ـلَ من الناس بكرة وعشيا

عاش حينا يبيع في الكوفة الما   ء، وحيناً يبيع ماء المحيا(1)

فقد احتوى البيتان على الطباق بشكلٍ واضح؛ لبيان التضاد بين المعنيين المتقابلين.

وكان المسدود الشاعر قد هجا الواثق وهو ولي عهد أبيه، فعمل هذه الأبيات:

من السدود في الأنف   إلى المسدود في العين

فيا طبلا له رأس   ويا طبلاً برأسين(2)

فيظهر أسلوب الجناس في البيت الأول، لبيان عمق الصورة، من خلال جذب الصوت للسامع من جانب، ولفت انتباه المتحدث إلى وضوح التضاد فيما أراد.

ومما قيل في ذم همذان، فيقول أبو العلاء محمد بن علي بن حسول الهمذاني:

همذان لي بلد أقول بِفَضلِه   لكنه من أقبح البلدان

صِبيانُه في القبح مثلُ شيوخِهِ   وشيوخُه في العقل كالصبيان(3)

فقد وقف الشاعر على أسلوب الطباق، وما فيه من توضيح للتضاد بين البيتين والمعنى المراد عند الشاعر، (شيوخ، صبيان).

وكان أبو العطاء السندي مولى بني أسد قد هجا أبا دلامة بقوله:

ألا أبلغ هديتَ أبا دلامة فليس من الكرام ولا كرامة

إذا لبس العمامة كان قرداً وخِنزيراً إذا وضع العمامة[4]

وكان لديك الجن غلام قد قتله لأنه اكتشف أن له علاقة بجارية قد هواها فقتل الغلام، فصنعت أخت الغلام ذماً في ديك الجن:

يا ويح ديك الجن يا تباً له مما تضمن صدره من غدره

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج1 / ص124

(2) المصدر نفسه : ج2 / ص268

(3) المصدر نفسه : ج1 / ص128

(4) المصدر نفسه : ج2 / ص326

قتل الذي كان يهوى وعمر بعده يا رب لا تمدد له في عمره[1]

ويتصل معاوية بن سفيان بالحسن بن سهل مؤدب أولاده، فعتب عليه في شيء، فقال يهجوه:

لا تحمدن حسناً بالجود إن مطَرتْ كفّاه نزراً ولا تذممه إن زرما

فليس يمنع إبقاءً على نشبٍ ولا يجود لِفضل الحمد مغتنما

لكنها خطرات من وساوسه يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما[2]

فقد أكثر الشاعر من استخدام أسلوب النداء في الأبيات؛ وذلك ليوحي بما عند الشاعر من ألم تجاه المهجو، وعمق المأساة التي حلت به.

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج3 / ص188

(2) المصدر نفسه : ج4 / ص403

5.1.3 الخاتمة:

الحمد أولا وأخيراً، وأسألك ا المزيد من فضلك، وبعد:

فقد كان اختياري لهذا الموضوع، أنه يتناسب مع توجهاتي، فتوكلت على ا ، ووجدت راحة في خوض غمار هذا الموضوع، ثم اكتشفت في داخلي ارتياحاً نفسياً معه أثناء البحث والقراءة.

وتبين من خلال هذا البحث أن الشعر العباسي له مدارات واسعة مستمدة من وحي البيئة، والعصر الذي عاش فيه الشعراء، ولم يأت صدفة، وإنما أتى بأساليب فنية في غاية الإبداع، فإن أراد الشاعر أن يمدح فيكون مدحه غزيراً، وإن أراد الشاعر أن يهجو فيختار أنسب صفات سيئة ملاصقة للمهجو، وإن أراد أن يصف فيدقق في الموصوف، فيصفه وصفاً صائباً، وهذا وإن دل فيدل على براعة الشعراء في تلك العصور.

وأبرزت الرسالة أن كتاب " وفيات الأعيان " مصدر ذو أهمية كبيرة من أمات الكتب الأدبية، فلا تقتصر أهمية هذا الكتاب على الناحية التأريخية وحسب، وإنما لا تقل قيمته على الأهمية الأدبية التي يقدمها.

وقد استطاع الشعراء العباسيون أن يستخدموا جميع الألوان البديعية، كما واستمدوا من الطبيعة كل ما يستشعرون، وقد برزت ظواهر فنية أخرى من الأساليب، ومن ناحية

اللغة عند بعض الشعراء، فاتسمت ألفاظهم بالقوة والجزالة في الأغراض الشعرية، لاسيما في المدح، من أجل استخدام لغة خالية من الأخطاء لتليق بمن يمدحون، فقد راوحت لغتهم بين السهولة والرقة وبين الرصانة والمتانة، وذلك حسب الغرض الشعري.

وتناولت الدراسة الصورة الفنية حول الشعر العباسي، في موضوعات مختلفة ومتنوعة، تمثلت بمظاهر الطبيعة في البيئة العباسية، فكانت الطبيعة باعثاً قوياً على التصوير والوصف لدى الشعراء العباسيين.

وفي مجال الصورة، لاحظ الباحث كثرة الصور الشعرية التي انبنت على التشبيه، والاستعارة، والكناية، وصور بديعية أخرى كالطباق، والجناس، والتورية، والتصريع.

أما الإيقاع فد استخدموا الشعراء البحور الطويلة، والقصيرة، ولا سيما الطويل والكامل، والبسيط، والخفيف.

وأخيراً، أسال ا التوفيق والسداد، إنه نعم المولى ونعم النصير.

المراجع

ابن الأثير، ضياء الدين نصر ا بن محمد، (1965م)، **المثل السائر**، ط1.

ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات (ت: 606ه)، 1997م، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.

أحمد فراج، عبد الستار (1960م)،**أشعار الخليع (الحسين بن الضحاك)**، دار الثقافة، بيروت، ط1.

إسماعيل، عز الدين(1955م)، **الأسس الجمالية في النقد العربي**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1.

البستاني، بطرس(1987م)، **معجم محيط المحيط**، دائرة المعاجم، مكتبة لبنان،

بيروت، ط1.

التنيسي، ابن وكيع(1984م)، **المنصف للسارق والمسروق منه في إظهار سرقات المتنبي**، تحقيق محمد يوسف نجم، بيروت، ط1.

توما، جان عبدا (1996م)، **ديوان جحظة البرمكي**، دار صادر، بيروت، ط1.

التونجي، محمد(1994م)، **ديوان الباخرزي**، دار صادر، بيروت، ط1.

الجابر، سعود محمود عبد(1981م)، **الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1.

الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر(1969م) **الحيوان**، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، ط3.

الجادر، محمود عبدا (1988م)، **ديوان الثعالبي**، بيروت، مكتبة النهضة العربية، ط1.

الجرجاني، عبد القادر(1961م)، **دلائل الإعجاز**، تحقيق محمد عبده، مكتبة القاهرة.

ابن جعفر، قدامة(1978م)، **نقد الشعر**، تحقيق كمال مصطفى، القاهرة، ط3.

الجنان، مأمون بن محي الدين(1993م)، **أبو بكر الخوارزمي بين نثره وشعره**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

الجندي، أحمد(1976م)، **ديوان فتيان الشاغوري**، دمشق، ط1.

ابن الجهم، أبو الحسن(1959م)، **ديوان علي بن الجهم**، تحقيق خليل مردم بك، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط2.

الجوهري، أبي إسماعيل بن حماد، (ت: 400ه)،(1998م)، **تاج اللغة وصحاح العربية**، حققه شهاب الدين أبو عمر، دار الفكر، بيروت، ط1.

الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**(1979م)، دار صادر، بيروت، (ت: 626ه).

حموية، محمد، **شعر ابن الهبارية**، 1997م، تحقيق محمد فائز سنكري طرابيشي، دمشق، ط1.

الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن العماد، (ت:1089ه)،(1998م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

ابن خلكان، **الوافي بالوفيات**،(2000م)، تحقيق أحمد الأرناؤوط تركي، دار إحياء

التراث العربي، بيروت، ط1.
ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (2009م)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1.
خليف، يوسف، **حياة الشعر في الكوفة**،(1968م)، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ط1.
خير الدين، الزركلي، **الأعلام**،(1969م)، دار العلم للملايين، بيروت، ط3.
الدهان، سامي(969م)، **ديوان الخالدين**، دمشق، ط1.
الذهبي، سعيد، خيري، **سير أعلام النبلاء**، دار الفكر، بيروت، ط1.
ابن رشيق ،أبو علي الحسن القيرواني،(1996م)، **العمدة في محاسن الشعر ونقده**، دار الهلال، القاهرة، ط1.
رياض أحمد، شوقي،(1972م)، **الحسين بن الضحاك، حياته وشعره**، القاهرة، ط1.
سالم، عمر،(1973م)، **ديوان ابن دريد**، تونس، ط1.
السامرائي، يونس أحمد، 1986م، **شعراء عباسيون**، عالم الكتب، بيروت، ط1.
شوقي، أحمد، **من المصادر الأدبية واللغوية**، دار المعرفة الجامعية، ط1.
صالح نافع، عبد الفتاح،(1983م)، **الصورة في شعر بشار بن برد**، دار الفكر، ط1.
صلاح، عبدا مصلحي علي، **التقليد والتجديد في الشعر العباسي**، دار المعرفة الجامعية، ط1.
صلواتي، ياسين،(2001م)، **الموسوعة العربية الميسرة والموسعة**, مؤسسة الرسالة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط1.
الطاهر، علي جواد،(1977م)، **ملاحظات على وفيات الأعيان**، بيروت، ط1.
ابن طولون، شمس الدين،(1956م)، **قضاة دمشق**، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة الترقي، دمشق، ط1.
عباس، إحسان، 1995م، **دراسة في ابن خلكان وكتابه وفيات الأعيان**، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط1.
عبد الرحمن، عفيف،(2000م)، **معجم الشعراء العباسيين**، بيروت ط1.
عطية ا ، أحمد،(1967م)، **القاموس الإسلامي**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،

ط1.
علاونه، شريف،(2002م)، **شعر ابن طباطبا العلوي**، دار المناهج، القاهرة، ط1.
علي بن الحسين بن علي، المسعودي(1983م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الأندلس، بيروت، ط1.
علي حسن، رشدي،(1985م)، **ديوان أبي دلامة الأسدي**، بيروت، ط1.
علي ذياب، محمد، **الصورة الفنية في شعر الشماخ**،(2003م)، ط1.
العمد هاني،(1999م)، **مصادر المكتبة العربية في اللغة والأدب والمعاجم والتراجم**، عمان، ط1.
عمران، عبد اللطيف،(2002م)، **الأدب العربي في بلاط عضد الدولة البويهي**، دمشق، ط1.
غطاشه، داود،(1991م)، **مصادر الدراسات الأدبية واللغوية**، تحقيق عبد القادر أبو شريفة، دار الفكر، ط2.
غنيمي، هلال،(1969م)، **النقد الأدبي الحديث**، دار النهضة العربية، القاهرة، ط1.
أبو الفتح، ابن جني(2001م)، **الخصائص**، بيروت ط3.
ابن قتيبة، عبدا بن مسلم، **الشعر والشعراء**،(1964م) دار الثقافة، بيروت، ط1.
مبارك، زكي،(1993م)، **الموازنة بين الشعراء**، دار الجيل، بيروت، ط1.
محمد هارون،(1987م)، عبد السلام، **معجم مقيدات ابن خلكان**، القاهرة، ط1.
مدكور إبراهيم،(1985م)، **المعجم الوسيط**، دار عمران، ط3.
مردم بك، خليل،(1984م)، **ديوان ابن حيوس**، دار صادر، بيروت، ط1.
مصطفى، أحمد أمين،(1985م)، **أبو بكر الخوارزمي، حياته وأدبه**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1.
مطلوب، أحمد والجبوري، عبدا (1981م)، **ديوان ديك الجن**، دار الثقافة، بيروت، ط1.
ابن المعتز، عبدا بن محمد(1981م)، **طبقات الشعراء**، دار المعارف، القاهرة، ط4.
المنجد، صلاح(1959م)، **أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب**، بيروت، ط1.
مهيار بن مرزويه، **ديوان مهيار الديلمي**(1970م)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1.